وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني

الصفات الإلهية وعلاقتها بالذات

وفيه :

أولاً : الصفات الذاتية .

ثانياً : كلام الله القرآن .

ثالثاً : الصفات الفعلية .

رابعاً : الصفات الخبرية .

خامساً : تأويل الصفات بين الأشاعرة والسلف

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تمهيد :

المؤمنون بالله تعالى ليسوا على درجة واحدة فى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته , إذ منهم من لم يعرف الله تعالى إلا لكونه خالقاً , مدبراً , حكيماً , ذا إرادة واختيار , إليه منتهى الكمال , والجلال , والجمال , وذلك , لأنهم آمنوا بالله تعالى , وعرفوه بواسطة النظر والاستدلال , والقياس العقلى , وهى الهداية العقلية مجردة عن هداية الدين , ومنهم من عرف الله بصفات الخلق , والإرادة , والتدبير , والحكمة , وبانتهاء الكمال والجلال , والجمال إليه تعالى, وعرفه بجميع أسمائه الحسنى , وصفاته العليا , وأهل هذه المعرفة هم أهل الهدايتين العقلية النظرية , والدينية الشرعية , لأن من أسمائه تعالى مالا يعُلم إلا عن طريق الوحى الإلهي فقط , فالله أعلم بأسمائه وصفاته من خلقه, وأنبياء الله ورسله أعلمُ بذلك من غيرهم ممن لم يهتدوا بهداية الوحى الإلهي من الناس. وحذرًا من الكذب على الله تعالى , وخوفاً من تكذيبه تعالى , ولاسيما وقد توعد الله تعالى مكذبيه والكاذبين عليه فى قوله من سورة الزمر : [▫♦◂⍓⍓♋☺⍓⇳ ☒ 🕮⇦❒←◂■☠↖]

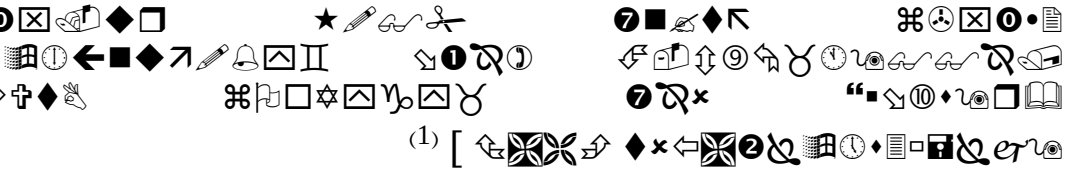

[1]

فإن المؤمنين بالوحى الإلهى , العارفين بأسماء الله تعالى وصفاته يلتزمون حيال أسمائه عز وجل وصفاته بمبدأين , لا يجيزون الخروج عنهما بحال من الأحوال، لما يؤدى إليه الخروج عنهما من تكذيب الله تعالى أو الكذب عليه , والعياذ بالله تعالى من ذلك كله.

المبدأ الأول :

أن لا يُسموَّا الله تعالى باسم له لم يُسَمَّ به تعالى نفسه فى كتابه أو على لسان رسله, فهم إذا دَعَوه دعوه بأسمائه الحسنى حيث انتدبهم لذلك فى كتابه بقوله من سورة الأعراف [🗐⍁□♋⇔○🡐♦◂💻🖋✂ ↓↗🖉🖋□▦⇳🖚☞❀🖋✂ ★🖉◆❒

1 . الزمر : آيه 32

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

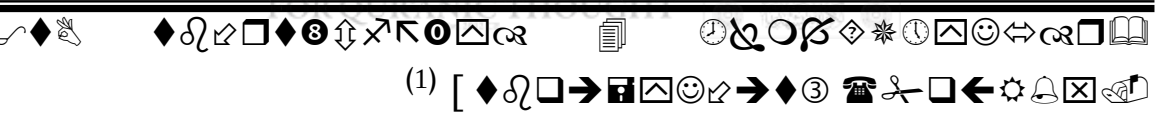
[1]

وإذا نعتوه وعرفوا به نعتوه بصفاته , وعرفوه بأفعاله وآياته الدالة عليه جل جلاله, وعظيم سلطانه

والثانى: أن لا يُشبهوا الله تعالى فى ذاته [2], ولا صفاته , ولا أفعاله بذوات المخلوقين , ولا بصفات المحدثين ولا بأفعالهم , لاستحالة وجود شَبهّ لله تعالى عقلا وشرعاً. أما الشرع : فقد أخبر تعالى فى غير موضع من كتابه بنفى الشبيه له والكفؤ , فقال تعالى [

[3]

وقال تعالى [

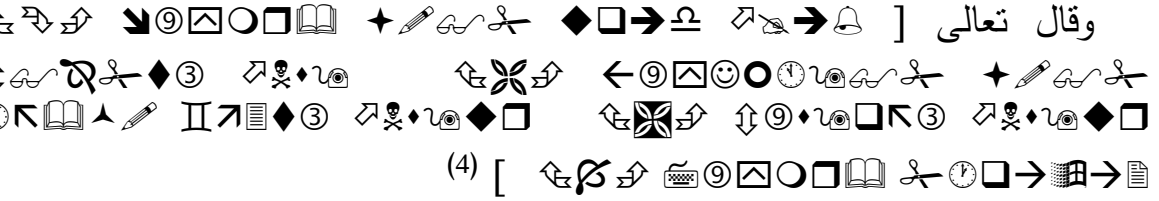
[4]

وأما العقل : فإن خالق المادة لا يكون مادة , وما لم يكن مادة فكيف تشبهه المادة , وهل تُشَبَّه ما ليس بمادة بما هو مادة ؟ فلذا قضى العقل باستحالة أن يُشَبّه الخالق بمخلوقاته

ومن هنا : فالمؤمنون يصفون ربهم بكل ما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله ρ ولا يتحرجون من ذلك أبدا .

فيقولون:إن الله يسمع ويبصر, ويحب ويبغض, وخلق بيديه, واستوى على عرشه, ويجئ لفصل القضاء , وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا , وكلم موسى , وذلك لأمور.

أحدها : انه ما دام تعالى قد وصف نفسه بهذه الصفات , ووصفه بها رسوله ρ وهو أعلم الناس به تعالى , ولم يبق إذاً من معنى للتحرج فى وصفه تعالى بذلك, إذ لو لم يكن

---

1 . الأعراف : آية 180

2. ابن تيمية:مجموعة التوحيد , الرسالة الأولى, العبادة, أنواع التوحيد, ص7–14 بتصرف وتلخيص, مصدر سابق

3 . الشورى : آيه 11

4 . سورة الإخلاص

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ذلك جائزاً ومشروعاً لنهى عنه تعالى فى كتابه, وحرَّمه على لسان رسوله ρ , كما حرم تكذيبه والكذب عليه , ووصفه بما هو براء منه من سائر الأوصاف والنقائص المنفية لكمالات الإلهية كأن يكون له صاحبة أو ولد, أو شريك فى الملك, أو ولى من الذل .

وثانيهما : أنهم عندما يصفون ربهم بصفاته التى وصف بها نفسه , أو وصفه بها رسوله ρ , هم يعلمون يقيناً أن هذه الصفات محال أن يكون شئ منها يشبه صفات المخلوقين للفرق الكبير , والبوْن الواسع بين الخالق والمخلوق , فإذا وصف الله تعالى نفسه بأن له يداً , ووصفه المؤمن بها : فليس معنى ذلك أن يد الله تشبه يد الإنسان , وأن المؤمن يخطر على باله أن شبهّا ما بين يد الخالق ويد المخلوق , لأن الفرق بين يد الله تعالى الخالق , ويد الإنسان المخلوق كما بين ذات الله الخالق , وذات الإنسان المخلوق , وإذا فلا مشابهة بين يد الخالق ويد المخلوق البتة , ولذا فالمؤمنون لا يؤولون صفات الله تعالى [1] , ولا يحرفونها أو يعطلونها خوفاً من التشبيه , لأنهم يعلمون أن الشّبه بين صفات الخالق وصفات المخلوق محُال عقلا وشرعاً , ولا واقع له فى الخارج أبدا . ولذا هم يعُدُّون من الكذب والباطل أن يُشبه المرءُ الخالق عز وجل بالمخلوقين ,أو يشبه صفاته تعالى بصفاتهم , وذلك كأن يقول : يُد الله كيد الإنسان , أو عين الله مثل عين الإنسان , أو استواء الله على عرشه كاستواء الإنسان على عرشه مثلاً ! إذ هذا كله ومثله , باطل لا واقع له فى الخارج أبداً , وهو كذب بحت , وافتراء محض , وذلك لقضاء العقول باستحالة وجود ما بين الخالق والمخلوق فى الذات , والصفات والأفعال .

وثالثهما: أن العقول السليمة لا تحيل إطلاقا لفظ صفة لذات من الذوات , وبإطلاق ذلك اللفظ لتلك الصفة على ذات أخرى مع انعدام الشبه تماما بين الصفتين , وبين الذاتين الموصوفتين بهما , وذلك كلفظ "الرأس" فإنه يطلق على المال والإنسان , فيقال رأس المال , ويقال رأس الإنسان , ولا شبه بينهما البتة , وذلك لانعدام الشبه بين الذاتين الموصوفتين بهما , وهذا لفظ "العين" يطلق إطلاقات فيقال : عين الشمس , وعين الماء ,

1 . ابن تيمية : مجموعة التوحيد ,(الرسالة الأولى , العبادة , أنواع التوحيد) ص7 –14

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وعين الحيوان , ولا شبه بين تلك الذوات التى أطلق عليها لفظ " العين " المشترك بينهما إلا فى مجرد الاسم فقط .[1]

وأخيراً , فهداية المؤمنين فى هذه العقيدة عقلية ودينية , فالعقلية : هى استحالة إدراك كُنه ذات الله تعالى , وكنه صفاته , لأن ذات الرب تعالى ليست مادة فتدرك , وصفاته من ذاته , ومتى استحال إدراك كنه الذات استحال كذلك إدراك كنه الصفات , والدينية الشرعية : هى إخباره تعالى بأنه ليس كمثله شئ , وأنه لم يكن له كفوا أحد , وأن الخلق لا يحيطون به علماً , مع وصفه تعالى لنفسه بصفات ذاتية شئ : كالسمع والبصر , واليد , والعين , والرضا , والغضب , والحب , والسخط , وفعلية كالمجيء, والنزول , والخلق باليد , والاستواء على العرش , وما إلى ذلك مما ورد من الصفات فى الكتاب الكريم والسنة الشريفة معا .

وهنا نقف لنبين آراء الأشاعرة والسلف فى مسألة الصفات وعلاقتها بالذات الإلهية وذلك حتى يتسنى الوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ونبدأ الحديث عن الصفات، بالصفات الذاتية .

1 . ابن تيمية : مجموعة التوحيد , ص 7 – 14 مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

أولا : الصفات الذاتية

إن صفات الذات عند الأشاعرة تعنى كل صفه يوصف الله تعالى بها , ولا يوصف بضدها , أى كل صفه ليس لها مقابل يجوز إطلاقه فى حقه الله تعالى بل يستحيل ضدها عليه سبحانه , كالعلم والقدرة والسمع , ومن الأسماء الدالة عليه اسمه الحى , إذ يرجع إلى صفة الحياة وهى من صفات الذات , فلا يجوز وصفه سبحانه وتعالى بالضد وهو الموت .

يقول أبو بكر بن ميمون : اعلم أن كل مثبت للإلهية , من معتزلى أو فيلسوف أو غيرهم من الطوائف. متفقون على أن الله عالم . والمعتزلة يصفون الله – جل و عز– بأنه حى قادر , وإنما الخلاف بيننا وبينهم من حيث نقول : إن الله عالم بعلم وحى بحياة , مريد بإرادة قديمة , قادر بقدرة , متكلم بكلام سميع بسمع , بصير ببصر . وخالفنا المعتزلة فيما قلناه, فقالوا : إنه حى عالم قادر لنفسه وقال بعضهم : إنه مريد بإرادة حادثة . يخلقها فى غير محل , وأنه تكلم بكلام يخلقه فى محل , وليس تسميتهم له بمتكلم كتسميتهم له بمريد , لأن معنى كونه عندهم – متكلما : أنه خلق الكلام . ولا يرجع من خلق الكلام حكم إليه , وأما مريد فإنه يرجع إليه من الإرادة الحادث , حكم له, فهذا بسط القول فى هذه المسألة [1] والمقصود الأهم منها : وهو إثبات الصفات القديمة – على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

يقول الإمام الجوينى فى إثبات صفتى العلم والقدرة " إذا تقرر أن البارى –تعالى– صانع العالم وتبين للعاقل لطائف الصنع [2] – وأحاط بما تتصف به السماوات والأرض وما بينهما من الاتساق والانتظام والإتقان والإحكام . فيضطر إلى العلم بأنها لم تحدث إلا من عالم بها قادر عليها , ولا يستريب اللبيب العاقل فى امتناع الاجتماع من الموتى والجهلة والجمادات والعجزة , وكذلك يعلم كل عاقل على البديهة أن الفعل الرصين المحكم المتين , يستحيل صدوره من الجاهل به "

1 . أبو بكر بن ميمون : شرح كتاب الإرشاد , ص 159

2 . سبق توضيح صنع الله للعالم فى الفصل الأول فى أدلة وجود الله سبحانه وتعالى عند الإمام الجوينى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ومعنى هذا أن المعلومات الضرورية لا تفتقر إلى تقديم نظر , وتحريز عبر , وإذ شاهدنا العالم وفيه عجائب الآيات وغرائب المصنوعات من أملاك تدور بحسبان ونجوم تطلع وتغرب على هيئة الإحكام والإتقان , ونلتفت إلى هذا العالم السفلى .

فننظر إلى العناصر الأربع , التى هى النار والهواء والماء والأرض , ثم ينظر إلى المركبات التى هى المعدن والنبات والحيوان , فنعلم عند ذلك : أن هذه أفعال محكمة متقنة , والفعل المحكم المتقن لا يصدر إلا من عالم به , قادر عليه, غير جاهل ولا عاجز ولا يكون العالم القادر إلا حيا ومتى خطر بخاطر إنسان أن الفعل المحكم يكون من جاهل عاجز موات غير حى , فقد خطر بباله ما ترده بديهة العقل .[1]

ويستطرد الإمام الجوينى فى ذكر الأدلة على كون البارى عز وجل عالماً قادراً حياً فيقول " وإذا اتضح كون البارى – تعالى – عالماً قادرا , فباضطرار نعلم كون حياً , ولو نظر العاقل بدئيا فى الفعل , واعتقد أن له صانعا , فيضطر منه إلى العلم بكون صانعه حياً , إذا درأ عن معتقده وساوس الطبائعيين .

يقول شارح الإرشاد : إن للأئمة فى الاستدلال على كون البارى – جل وعز – حياً , طريقتان أحدهما : ما تقدم الاستدلال به على كونه عالماً قادراً . فإذا اثبت ذلك , وجب أن يكون حيا . إذ الحياة شرط فى وجوب العلم ومن الأئمة من لا يتوصل للعلم بكونه حياً، إلا بالعلم كونه عالماً قادراً, إذ الفعل نفسه يقتضى من وجوب كون الفاعل حيا , ما يقتضى كونه عالماً . إذ الفعل ممتنع على من ليس بحى , كما يمتنع على من ليس بقادر ولا عالم .[2]

ويهاجم الإمام الجوينى المعتزلة ويفند آراءهم ويرد عليها فى نفيهم صفة الإرادة فيقول " صانع العالم مريدا على الحقيقة وذهب أبو القاسم الكعبى [3] إلى أن البارى – سبحانه

1. أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص 160 – 161
2. المصدر السابق : ص 163
3. الكعبيه : هم أصحاب أبى الحسين بن أبى عمرو الخياط أستاذ أبى القاسم بن محمد الكعبى وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد , وقال فى نفى الصفات عن البارى مثل ما قاله أصحابه وكذا القول فى القدر والسمع والعقل , وانفرد الكعبى عن أستاذه بمسائل منها قوله – إن إرادة البارى تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد لذاته ولا إرادته حادثة فى محل أو لا فى محل بل إذا أطلق عليه أنه مريد فمعناه أنه عالم قادر غير مكره فى فعله ولا كاره ثم إذا قيل : هو مريد لأفعاله فالمراد به أنه خالق لها على وفق علمه , وإذا قيل : هو مريد لأفعال عبادة فالمراد به أنه آمر بها راض عنها , راجع: الملل والنحل للشهرستانى :(1/ 75)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وتعالى – لا يتصف بكونه مريدا على الحقيقة . وإن وصف بذلك شرعاً فى أفعاله , فالمراد بكونه مريدا لها : أنه خالقها ومنشئها , وإذا وصف بكونه مريدا لبعض "أعمال العباد" فالمراد بوصفه :أنه أمر بها .وذهب " النجار[1] " ت عام 230 هـ – إلى أن البارى– تعالى مريد لنفسه .ثم قال عند المراجعة :المعنى بكونه مريدا .أنه غير مستكره و لا مغلوب .و ذهب بعض معتزلة البصرة إلى أن البارى – سبحانه–مريد للحوادث بارادات حادثة ثابتة لا فى مجال. و زعموا :أن كل حادث من أفعاله, مراد له, بإرادة حادثة, و كل مأمور به من أفعال العباد ,مراد له . و لا تتعلق إرادة واحدة بمرادين –عندهم – ثم أن الإرادات تقع حادثة غير مرادة " [2]

قال أبو بكر بن ميمون مفسراً هذا النص : إن المعتزلة على بكرة أبيهم لم يجعلوا وصف البارى – تعالى – بكونه مريدا كوصفه بكونه عالماً قادرا حيا , لأن هذه صفات ترجع إليه , وأما " الكعبى" فإنه يجعل كون البارى –تعالى – مريدا راجع إليه , لأنه إذا كان معنى كونه مريدا , كونه خالقاً , وكونه خالقاً , لا يرجع إليه منه حكم , فلذلك لا يرجع من كونه مريدا إليه حكم وأما " النجار " فإن قوله الأول يومئ إلى انه حكمه فى كونه مريدا كحكمه فى كونه عالماً , لأنه قال : انه مريد لنفسه لكنه بين بعد ذلك : أنه ليس مراده مراده فى كونه عالماً , حين قال : أن معنى ذلك ليس بمستكره , ولا مغلوب .

وأما البصريون فإنهم يعتقدون أن الحكم الراجع من الإرادة الحادثة التى فى غير محل ترجع إليه , وكلهم متفقون على أنهم لا يقولون أنه مريد لنفسه , كما يقولون : إنه عالم قادر لنفسه , والذى ثناهم عن هذا وصرفهم : ما اعتقدوه من أن الحكم المعلق بالنفس يجب أن تعم تعلقاته , ولهذا لما كان عالماً بنفسه , كان عالماً بكل معلوم , ولما كان

1. هو أبو الحسين بن محمد النجار: وافق المعتزلة فى نفى الصفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ووافق الصفاتية فى خلق الأعمال .و قال :أن البارى تعالى يريد لنفسه كما هو عالم لنفسه و قال :هو مريد الخير والشر والنفع والضر , وقال أيضا معنى كونه مريداً أنه غير مستكرة ولا مغلوب , راجع : الملل والنحل للشهرستانى : (1/ 87)

2 . أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص164

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

قادرا لنفسه , كان قادرا على كل مقدور , فلو كان مريداً لنفسه , لكان مريداً لكل مراد وذلك مما يأبونه .[1]

وأما وجه الرد على الكعبى كما يقول الإمام الجوينى أن الكعبى لما سلَّم أن الواحد منا إذا فعل فعلاً مختصاً بوقت , فلابد أن يكون مريدا له قاصدا إليه , وأفعال البارى تعالى – تتخصص بأوقاتها , فليكن اختصاصها , دليلا على كونه مريدا لإيقاعها , فى أوقات معينة , وعلى هيئات مخصوصة : إذ لو لم نقل ذلك , لأخرجنا الدليل عن الاطراد والأدلة العقلية لابد لها من أن تطرد . إذ لو لم تطرد , لم تكن أدلة .

ولو قدرنا أن أفعالنا تدل على كوننا مريدين لها , ولا تدل فى حق الله – جل وعز – يلزم من ذلك أيضا : أن يكون الإتقان والإحكام فى حقنا , وإلا على كوننا عالمين بذلك الفعل ولا يكون ذلك دليلاً فى حق الله – تعالى – وهذا محال .[2]

ويرد أيضا على النجار فيقول إن قوله : الله مريد لنفسه , قد جاء بعبارة أصحابه , النافين للصفات , القائلين بأن الله عالم بنفسه , قادر بنفسه . والمراد بذلك عندهم . أنه عالم بغير علم , قادر بغير قدرة , فإن أرادوا ذلك فلا سبيل إلى الرد عليهم , إلا بما يرد على من أنكر الصفات , وأما ن فسر كونه مريدا لنفسه , بأنه غير مغلوب ولا مستكره فهذا مالا خلاف فيه , لأن قدم البارى – جل وعز – ووجوب وجوده , يحيل كونه مغلوباً , لأن المغلوب مقدور عليه , وكذلك المستكره , والمقدور : هو الممكن . والواجب الوجود يستحيل كونه مقدورا , فإذا وقع الاتفاق بيننا وبينهم فى نفى الغلبه والاستكراه على البارى – جل وعز – سألوا بعد ذلك عنه , أتثبتونه قاصدا إلى ما يفعله من الأفعال ؟ فإن أثبتوا كونه قاصدا بإرادة قديمة وافقوا أهل الحق ومذهبهم . وإن امتنعوا من إثبات كونه قاصدا , أقيم عليهم من الجج , ما أقيم على الكعبى .[3]

ويثبت الإمام الجوينى صفتى السمع والبصر فيقول : إن الحياة لا يقبلها المحل , إلا عند اتصافه بالمحل , وتمثيل ذلك : أن الجماد لما لم يكن حيا , لم يقبل ما يقبله الحى

1 . أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص 165

2 . المصدر السابق : ص 165 –166

3 . المصدر نفسه : ص171

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

من العلم والجهل والسمع والبصر , وغير ذلك , فإذا اتصف محل بالحياة قبل السمع أو ضده والبصر أو ضده . ولابد من ذلك والبارى – عز وجل – قد دلت الأفعال على كونه حيا , لاستحالة وجود فعل من ميت , فوجب أن يكون قابلاً للسمع والبصر , وهما كمالان فى حق المخلوق , فالموجود الذى له الكمال على الإطلاق , أحق بهذا الوصف , إذ يستحيل عليه أن يقبل ضدهما , لأنهما نقيضان والله جل وعز متقدس عن ذلك , لا إله إلا هو .

ويثبت الإمام الجوينى أيضا صفتى القدم والبقاء فيقول : إن كل ما دل على قدم البارى –جل وعز – واستحالة عدمه , ووجوب وجوده , فهو دال على كونه – تعالى– باقيا , فالبارى قد وجب له الوجود , وثبت له القدم فيستحيل عدمه, وإذا استحال عدمه, لزم – لا محالة – بقاؤه [1]

و هكذا نجد أن الإمام الجوينى يثبت أن الله – تعالى– أزلى الوجود قديم الذات لا مفتح لوجوده و لا مبتدأ لأزليته , واحد لا شريك له ولا مثيل , حى عالم بجميع المعلومات ,قادر على جميع المقدورات ,ذلك أنا الأحكام المتقنة الواقعة على أحسن ترتيب و نظام لا تصدر إلا عن عالم بها ,مريد سميع بصير متكلم ,و هو عالم بعلم قديم قادر بقدرة قديمة حى بحياة قديمة و كذلك الحال فى سائر صفات الذات أو صفات النفس على حد تعبيره,و دليل أنه عالم بعلم , و ليس علمه نفسه كما تقول المعتزلة : إنه قال: [☎] [2] فثبت أن له علماً , كما قال [ ] [3] فامتدح عز وجل نفسه بأنه ذو القوة , كذلك هو ذو علم وسائر صفات النفس " الذات " [4]

أما الإمام الغزالى فحديثه عن الصفات قد اتسم بالوضوح والتدليل بآيات الله عز وجل فى الكون والإنسان فيقول : إن الله سبحانه وتعالى قادر عالم حى مريد سميع بصير

1 . أبو بكر ميمون : شرح الإرشاد , ص 183 –191

2 . سورة النساء : آيه 166

3 . سورة الذاريات : آيه 58

4 . الإمام الجوينى : لمع الأدلة فى قواعد أهل السنة , ص 89 مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

متكلم فنجده فى إثبات القدرة يقول: أن محدث العالم قادر ,لأن العالم فعل محكم مرتب متقن منظوم مشتمل على أنواع العجائب و الآيات و ذلك يدل على القدرة ,و يقول و بترتيب القياس نجد أن كل فعل محكم فهو صادر من فاعل قادر ,والعالم فعل محكم فهو إذا صادر من فاعل قادر , و الله تعالى عالم بجميع المعلومات الموجودات والمعدومات .

وفى صفة الحياة يثبت الغزالى أن الله تعالي حي وهو معلوم بالضرورة , ولم ينكره أحد ممن اعترف بكونه تعالي عالما قادرا , فان كون العالم حيا ضروري إذ لا يعني بالحي إلا ما يشعر بنفسه و يعلم ذاته و غيره و العالم بجميع المعلومات والقادر علي جميع المقدورات كيف لا يكون حيا . وهذا واضح . [1]

ويثبت الغزالى الإرادة فيقول :أن الله تعالى مريدٌ لأفعاله , وأنه عز وجل سميع بصير ودلل على ذلك بالشرع و العقل , أما الشرع فالآيات التى تخبر عن الله عز وجل أنه سميع بصير كثيرة كقوله تعالى [❑ ♎❑➔◆ ✂๛☺○○๛↗➊←
✂๛♦🕐🏠❷❸➔].

و أما المسلك العقلى فيقول الإمام الغزالى : إن الخالق أكمل من المخلوق و معلوم أن البصير أكمل ممن لا يبصر و السميع أكمل ممن لا يسمع فيستحيل أن يثبت وصف الكمال للمخلوق و لا نثبته للخالق. [2]

وقد وافقت أراء الإمام الجوينى والإمام الغزالى , أراء مؤسس المذهب أبو الحسن الأشعرى حيث يقول الله "ليس كمثله شيء واحد عالم قادر حى : و الله لا يشبه شيء و لا يشبه شيئا , لأنه لو أشبه المحدثات لكان حكمها ,و الله عالم لأن الأفعال المحكمة لا تكون كذلك إلا إذا صدرت من عالم إذ لا يصدر دقائق الصنعة إلا ممن علمها.و الإنسان بما فيه من اتساق الحكمة كالحياة التى ركبها الله فيه ,و الفلك و ما فيه من شمسه و قمره و كواكبه و مجاريها كل ذلك يدل على أن الذى صنع ذلك لابد عالم بكيفيته و كنهه,كذلك لا يجوز أن تحدث الصنائع إلا من حى قادر. [3]

1.الإمام الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد , ص42- 51-52

2.المصدر السابق : ص 52-56

3. أبو الحسن الأشعرى : اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع , ص 80- 110 مصدر سابق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وفى الإرادة يقول الأشعرى :الله بوصف القرآن الكريم [فعال لما يريد].و يتوسع فى شرح الإرادة لأنها تحدد موقفه من أهم نظرية له و أعنى بها نظرية الكسب فضلا عن أن الإرادة الإلهية من موضوعات الخلاف الشديد بينه و بين المعتزلة .و الإرادة صفة ذات لله , إذ يستحيل أن يكون البارى موصوفا بصفة الإرادة من عجز أو جهل أو سهو , وإذا بطل وصف الله بضد الإرادة و ثبت أنه مريد فانه عز وجل و لم يزل مريدا, كذلك لابد أن يكون مريداً لكل شئ يجوز أن يراد، لأنه إذا كانت الإرادة من صفات الذات فقد وجب أن تكون عامة فى كل ما على الحقيقة , مثل الإرادة فى ذلك مثل العلم , إذ لما كان العلم من صفات الذات فقد وجب عمومة بكل ما يجوز أن يعلم على حقيقته ,أنه لا يجوز أن يكون فى سلطان الله ما لا يريده ,ولو وجدت المعاصى دون إرادته فهذه صفه الضعيف المقهور , تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا .

ويثبت الأشعرى أن الله سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام , ووقف مناهضا للمعتزلة الذين أثبتوا صفات ثلاثة لله (العلم و القدرة والحياة) ومنعوا سائر الصفات التى توهم التشبيه , أما هو فقد أثبت صفات أزلية سبعة :عالم قادر حى مريد سميع بصير متكلم,لأنه يستحيل أن يتصف الله بأضداد هذه الصفات [1]

وبهذا أكون قد عرضت آراء الأشاعرة فى الصفات الذاتية , إلا أنني أرجأت الحديث عن صفة الكلام و أفردت لهذه الصفة مبحثا خاص نظرا لعمق الخلاف فى هذه الصفة بين المعتزلة و أهل السنة مرورا بمحنة الإمام أحمد بن حنبل فى العصر العباسى .

أما إذا توجهنا إلى السلف نجد أن ابن حزم[2] (من 384 هـ الى 456هـ) قد فاجأنا فى كتابه الفصل بقوله (أما إطلاق لفظ الصفات لله عز وجل فمحال لا يجوز, لأن الله تعالى لم ينص قط فى كلامه المنزل على لفظة الصفات ,و لا على لفظة الصفة ولا حفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم بأن لله تعالى صفة أو الصفات , نعم ولا جاء قط ذلك

1. أبو الحسن الأشعرى :اللمع , ص 28-31 , والإبانة عن أصول الديانة, ص 46-47.

2.هو :على بن أحمد بن سعيد بن غالب بن صالح بن أبى سفيان بن يزيد : و كنيته أبو محمد : و هى التى كان يعبر بها فى كتبه , وشهرته ابن حزم : و قد نشأ فى بيت له سلطان فى الدولة و له ثراء و جاه , اتجه الى العلم بالقرآن الكريم ,ثم رواية الحديث , وعلم اللسان ,فبلغ فى كل ذلك المبلغ الذى وصل فيه إلى المرتبة العليا , راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية , للإمام محمد أبو زهرة : ص 538-541 مرجع سابق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم , ولا عن أحد من خيار التابعين ومن كان هكذا فلا يحل لأحد أن ينطق به , ولو قلنا أن الإجماع قد يتعين على ترك هذه اللفظة لصدقنا فلا يجوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده بل هى بدعة منكرة). وادعى إنما اخترعها المعتزلة و هشام و نظراؤه , و سلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام سلكوا غير مسلك السلف الصالح و ربما زل بها قوم من الفقهاء , وفى هذا الصدد رد قول أحد الصحابة حينما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سر قراءته لسورة الإخلاص[⬀✍🔔➔ ⏢➔❑◆ ✂✍✦ 🕮❒⍓○⍓⑨◣] فقال الصحابى (هى صفة الرحمن و أنا أحبها) فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله يحبه بحبها). وإنما رد ابن حزم هذا الحديث لأن فيه سعيد بن أبى هلال وليس بالقوى, و أن الإمام أحمد بن حنبل اتهمه بالتخليط و الحديث خبر واحد لا يوجب علما على حد كلام الإمام ابن حزم[1] .و الحق أن السلف أطلقوا على الله صفات كما تسمى سبحانه و تعالى بأسماء , ويمكن أن يرد على ابن حزم بالآتى :أما دعواه الإجماع فباطل لأن فقهاء المدينة وهم من خيرة التابعين عرفوا ربهم بصفاته كما نطق بها الكتاب و شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .و قال سفيان بن عيينه " كل ما وصف الله به نفسه فى القرآن فقراءته تفسير" ووردت عبارة كل ما وصف الله به نفسه كثيرا على لسان الإمام مالك والأوزاعى , والليث بن سعد , والشافعى ,فيما يبين أن مسلك السلف قد برز فى إثبات الصفات كما وردت فى النصوص بلا تأويل و لا تعمق. [2]

و تولى ابن القيم الرد على ابن حزم مبينا له أن أسماء الله مذكورة فى القرآن ,و لو لم تدل على معان و أوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها , لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها و أثبتها لنفسه كما أثبتها له رسول الله ρ فيقول الله تعالى[❒➔❶ ↗⍐✂□⍟▪❷⍥✍✂ ◆❑➔⏢ ✦✍✍✂ □♌⍰❶ ✂✍⍥⍥↘❶→❑▪□❒⍥✍✂ ←✓✖⍰☝⍓☺↘⍥✍✂] [3] فالقوة صفة ومعنى ومصدر أخذ من اسم القوى, وقال جل شأنه:[✎♦⌶ ⍐⍓⌧♌♦ ③❷🇬🇧③⑨← ♦♌🔔⌧⍐

1. ابن حزم الأندلسى: الفصل فى الملل و الأهواء و النحل , وضع حواشيه :أحمد شمس الدين: دار الكتب العلمية , بيروت , الطبعة : الأولى , 1416هـ -1996م , (113/2)

2 . الشهرستانى : الملل و النحل , (1/ 84) , و مدارج السالكين لابن القيم : (3/ 354)

3 . سورة الذاريات :آيه 58.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

[﴿ ۝ ﴾] [1]

وقال تعالى:

[﴿ ۝ ﴾] [2] و قال تعالى: [﴿ ۝ ﴾]

[﴿ ۝ ﴾] [3] فقد أثبت الله لنفسه العزة والعلم والكلام واشتق منها العزيز والعليم والمتكلم , وروى البخارى عن النبى ρ قوله (الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات) وجاء فى حديث الاستخارة (اللهم إنى أستخيرك بعلمك , واستقدرك بقدرتك) [4] فقد أثبت له الرسول ρ السمع والقدرة والعلم , وهى من صفاته التى أطلقها عليه العلماء .

وأيضا لو لم تكن الأسماء مشتملة على معان وصفات لم يصح أن يخبر عنها بأفعالها فلا يقال يسمع ويرى ويعلم ويقدر ويريد لأن (ثبوت أحكام الصفات فرع بثبوتها , فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها) , وإذا لم تكن الأسماء ذات أوصاف كانت جامدة كالأعلام المحضة التى لم توضع لمسماها باعتبار معنى قامت به (فكانت كلها سواء ولم يكن فرق بين مدلولاتها وهذه مكابرة صريحة) ولو خلت الأسماء من المعانى لم تكن حسنى , ولا كانت دالة على مدح , ولا على كمال , ولساغ وقوع أسماء الانتقام مقام أسماء الرحمة وبالعكس, وإذا فالمقبول نصاً وعقلاً أن الأسماء دالة على الصفات ومشتقة منها , وأنه لا يمتنع التعبير عن مصادرها بالصفات[5] , وليس فى ذلك بأس شرعى , ولا يترتب عليه مخالفة أو خلل فى العقيدة.

فصفات الكمال لله تعالى كما أنها ثبتت بالنقل فقد جاء العقل أيضا بإثباتها , وقد قال الإمام ابن القيم أن صفات الكمال التى جاء بها القرآن الكريم كلها يمكن إثباتها بدليل

---

1 . سورة فاطر : آيه10.

2 . سورة النساء:آيه166.

3 . سورة الأعراف : آيه 144.

4 . أخرجه البخارى : (ج 3 / حديث رقم 1166) , والإمام أحمد: المسند , (3 / 344)

5 . ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين , (1/ 28- 30) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

العقل , وأيضا مثلها صفات السلب التى ورد نفيها فى القرآن , أيضاً يمكن نفيها بدليل العقل . وهذه الأدلة العقلية لا تحتاج إلى مقدمات أهل الكلام والجدل واصطلاحاتهم , وطرقهم البته , بل أن الحس السليم والعقل الصحيح يميزها ويقر بها .[1]

واثبات صفات الكمال بالنقل والعقل لله سبحانه وتعالى فى كلام الإمام ابن القيم قد يأتى مجملاً , بحيث ينص أن هذه الصفة قد دل العقل عليها مع النقل , وأحياناً يبين أن هذه الصفة قد دل العقل والنقل عليها , ثم يتوسع فى سرد الأدلة النقلية والعقلية , فمما أجمله قوله :" فالمسلمون يقولون قد دل العقل والوحى معاً على إثبات علم الرب تعالى آمراً ناهياً , وعلى كونه فوق العالم كله , وعلى كونه يفعل بقدرته ومشيئته , وعلى أنه يرضى ويغضب , ويثيب ويعاقب , ويحب ويبغض , فقد شهد بذلك العقل والنقل " [2] ونأخذ مثالاً لصفة أسهب ابن القيم فى توضحيها والتدليل عليها نقلاً وعقلاً وبنى عليها دلالاته على باقى الصفات الذاتيه وهى صفة العلو .

مع أن معرفة هذه الصفة مما فطر الله عليها قلوب خلقه , إلا أن الإمام ابن القيم بين أن هذه الصفة كسائر صفات الكمال لله تعالى فهى ثابتة بالنقل كما هى ثابتة أيضا بالعقل , والآيات والأحاديث الدالة على علوه تعالى أكثر من أن تحصر , وقد استدل الإمام ابن القيم بطائفة منها قوله تعالى [❼■✍♦↖ ←Ⅱ🕓☐☝⬀❑▪❷🝢🝢✂ ✂🝢🝢🝢➔⛝❷🕑⬀ ☜🝢🝢✂ ❸◆❑♦☝⇔] [3] والسلف يعدون آيات الاستواء دالة على العلو ضمناً , وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه فى السماء فقال: [🕭↗🖉🝢⛝☺○○🝢🝢✂ ❼🕭× Ⅱ☐✍ ☹↗🡻✲🕭✍❒🕮 ⬀🏳❒🕮 ☎ 🝢✲⌛🕭🕒🕭♦■ ⬀☠↗▯➘❶■🖬♦↘ •✍🡸☜⬀❷↖③ 🕭❒🕮] [4] وقال جل ثناؤه: [❶🏳🕭🖬⬧▯➘🝢🝢✂ ←⑨⛝➔⇔🕓♦③ 🕭○➘❶⬧🝢🕭❶ ✂🝢🝢🝢➔⛝☺⛝➔➘🝢🝢✂◆❒ ➲🖬🗭〰❶➘➲🝢🝢✂ ✂🝢🝢🝢🕓❍🕓🝢🝢✂ ←☒🕭🖬🕓❍🕓🝢🝢✂ ③♦❷⬀▫➔⬧↖🡸○🕯①] [5] وقال عن عيسى υ [

---

1 . ابن القيم : الصواعق المرسلة , (3 /909) , ومدارج السالكين , (1/ 86) , (3 / 451)

2 . الصواعق المرسلة : (3 /1010)

3 . سورة طه : آيه 5

4 . سورة الملك : آية 17

5 . سورة فاطر : آية 10

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST

وقال عن ملائكته: [[1]]

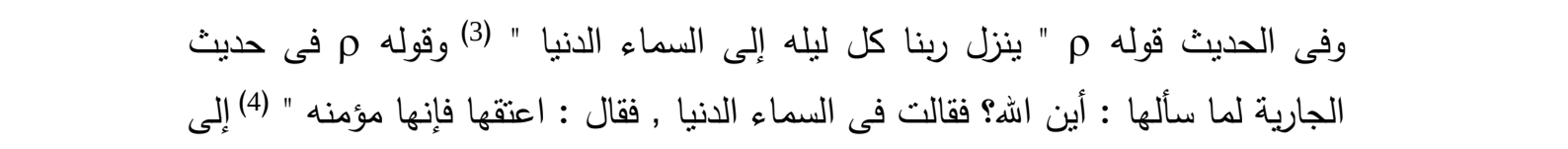

[[2]]

وفى الحديث قوله ρ " ينزل ربنا كل ليله إلى السماء الدنيا " [3] وقوله ρ فى حديث الجارية لما سألها : أين الله؟ فقالت فى السماء الدنيا , فقال : اعتقها فإنها مؤمنه " [4] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على علوه تعالى .[5]

أما ثبوت هذه الصفة بالعقل فقد توسع فيها ابن القيم كثيراً , فأثبت علو الله تعالى على خلقه من طرق عقلية كثيرة , وقد أوصلها فى كتاب الصواعق المرسلة إلى ثلاثين طريقا , ومن أبرز الأدلة العقلية التي ذكرها ما يلي

١- استخدام الإمام ابن القيم قاعدة التقابل في إثبات هذه الصفة ، ومضمونها انه إذا تقابل شيئين أحدهما صفة كمال و الآخر نقص وجب اتصاف الله سبحانه و تعالي بالكمال منهما دون النقص ، فقال رحمه الله في تقرير ذلك علي صفة العلو:

ثبت بطريق العقل أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال و الآخر صفة نقص فان الله سبحانه و تعالي يوصف بالكمال منهما دون النقص ، ولهذا لما تقابل الموت والحياة وصف بالحياة دون الموت ، ولما تقابل العلم و الجهل ، وصف بالعلم دون الجهل، ولما تقابلت المباينة للعالم والمداخلة له ، وصف بالمباينة دون المداخلة، وإذا كانت المباينة تستلزم علوه علي العالم أو سفوله عنه ، و تقابل العلو و السفل ، وصف بالعلو دون السفول ، و إذا كان مباين للعالم ، كان من لوازم مباينته أن يكون فوق العالم

1 . سورة آل عمران : آية 55

2 . سورة الأنبياء : آية 19

3 . الإمام البخارى : صحيح البخارى (فى التهجد باب : الدعاء والصلاة من آخر الليل), حديث رقم: (145)

4 . الإمام مسلم الحجاج : صحيح مسلم , هـ , باب تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحته, ح:(537)

5 . انظر الصواعق المرسلة : (4 /1279), أعلام الموقعين , (2 /260)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

،و لما كان العلو صفة كمال ، كان ذلك من لوازم ذاته ، فلا يكون مع وجود العالم إلا عاليا عليه ضرورة. [1]

٢- وقال الإمام ابن القيم : أنّا إذا عرضنا علي العقل وجود موجود قائم بنفسه لا في العالم و لا خارجاً عنه ، و لا يشار إليه، و عرضنا عليه وجود موجود يشار إليه فوق العالم ليس بجسم كان إنكار العقل للأول أعظم وامتناعه منه أظهر من إنكاره للثاني وامتناعه منه ،فان كان حكم العقل في الأول مقبولاَ وجب قبول الثاني ،وإن كان الثاني مردوداً وجب رد الأول ، ولا يمكن للعقل الصحيح أن يقبل الأول ويرد الثاني. [2]

٣- واستدل أيضا في إثبات هذه الصفة بقاعدة الجمع بين المتماثلات ،والتفريق بين المختلفات ،وهذه قاعدة عظيمة يمكن الوصول من خلالها إلي كثير من الحقائق التي ضل فيها المتكلمون فقال ابن القيم في الاستدلال بهذه القاعدة علي هذه الصفة:

والجهمية والمعطلة معترفون بوصفه تعالي بعلو القهر وعلو القدر , وأن ذلك كمال لا نقص فيه ، فإنه من لوازم ذاته ، فيقال ما أثبتم به هذين النوعين من العلو والفوقية،هو بعينه حجة خصومكم عليكم في إثبات علو الذات له سبحانه وتعالي ، وما نفيتم به علو الذات يلزمكم أن تنفوا ذنيك الوجهين من العلو ، فأحد الأمرين لازم لكم لابد ،إما تثبتوا له سبحانه العلو المطلق من كل وجه ذاتاً وقهراً وقدراً .[3]

وأما أن تنفوا ذلك كله ، فإن الذات القاهرة لغيرها أعلي قدراً من غيرها ، وإن عقل كونها غير جسم فكيف لا يعقل أن تكون الذات العالية علي سائر الذوات غير جسم . [4]

ويبين الإمام ابن القيم معنى المباينة فى موضع آخر بوضوح ودقه فيقول : الله تبارك وتعالى مبايناً لخلقه , وهذه المباينة تستلزم تفرده بصفات كماله و نعوت جلاله وكونه أعظم

1 . ابن القيم : الصواعق المرسلة , (1307/4)
2 . ابن القيم : الصواعق المرسلة , (1318/4)
3 . الصواعق المرسلة : (1324/4) , ومدارج السالكين , (22/3) , ومفتاح دار السعادة ص 9
4 . ابن القيم : الصواعق المراسلة , (4/ص 1324 – 1325)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

من كل شئ وفوق كل شئ وعالياً على كل شئ وأن يكون الأول الذى ليس قبله شئ والآخر الذى ليس بعده شئ , والظاهر الذى ليس فوقه شئ , و الباطن الذى ليس دونه شئ فباين خلقه بذاته وصفاته وأفعاله وأوليته وآخريته ووجوب وجوده وامتناع عدمه وكثرة أوصافه التى ليس كمثله فيها شئ فهو العليم الذى ليس كمثله شئ فى علمه , البصير الذى ليس كمثله شئ فى بصره , القدير الذى ليس كمثله شئ فى قدرته الحى القيوم الذى ليس كمثله شئ فى حياته وقيوميته, العلى الذى ليس كمثله شئ فى علوه ,بل هو منفرد بذاته وصفاته عن مماثلة مخلوقاته فله أعظم المباينة وأجلها وأكملها كما له من كل صفة كمال وأكملها , فهذه هى المباينة التى لا يليق به غيرها. [1]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه والقرآن الكريم أثبت الصفات على وجه التفصيل ونفى عنها التمثيل , وهى طريقة الرسل جاءوا بإثبات مفصل ونفى مجمل وأعداؤهم جاءوا بنفى مفصل وإثبات فلو لم يكن الحق فيما بينه الرسول للناس وأظهر لهم بل كان الحق فى نقيضه للزم أن يكون عدم الرسول خيرا من وجوده , إذا كان وجوده لم يفدهم عند هؤلاء علماً ولا هدى , بل ذكر أقوالاً تدل على الباطل , وطلب منهم أن يتعلموا الهدى بعقولهم ونظرهم ثم ينظروا فيما جاء به , فأما أن يتأولوه ويحرفوا الكلم عن مواضعه وإما أن يعوضوه , فذكرنا هذا ونحوه مما يبين أن الهدى مأخوذ عن الرسول ρ وأنه قد يبين للأمة ما يجب اعتقاده من أصول الدين فى الصفات .[2]

وفيما سبق عرضه يتبين الآتى :

١. يثبت الأشاعرة الصفات الذاتية لله تعالى فى سبع صفات هى العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام , وبترتيب منطقى وتسلسل عقلى يدللون على هذه الصفات بتعلق كل صفه بالأخرى فنجد الإمام الجوينى بعدما تحدث عن إثبات صفة العلم والقدرة , قال " فباضطرار نعلم كونه حياً [3] , ولو نظر العاقل بدئياً فى الفعل ,

---

1 . ابن القيم : الصواعق المراسلة , (4 /1338)

2 . ابن تيمية : كتاب النبوات , ص 153

3. هذا الدليل يسمى قياس الأولى وهو أن " كل كمال – لا نقص فيه بوجه – ثبت للمخلوق فالخالق أولى به من وجهين : أحدهما : أن الخالق الموجود الواجب بذاته تعالى القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم , المحدث , أما الوجه الثانى : أن كل كمال فيه إنما استفادة من ربه وخالقه , فإذا كان هو مبدئ للكمال وخالقاً له كان من المعلوم

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

واعتقد أن له صانعاً فيضطر منه إلى العلم بكون صانعة حياً " وهكذا فى باقى الصفات , أما السلف فيثبتون لله عز وجل صفات الكمال المتعلقة بذاته عز وجل دون الخوض فى تأويل هذه الصفات .

٢. يتضح من حديث الإمام ابن القيم أن السلف فى منهجهم لا يستبعدون العقل , وفى هذا يقول ابن القيم : إن صفات الكمال التى جاء بها القرآن الكريم كلها يمكن إثباتها بدليل العقل , وكذلك صفات السلب يمكن نفيها بالعقل أيضا , وعلى هذا فإن السلف يستخدمون العقل الصحيح الذى يرى بنور الشرع وآيات القرآن الكريم وسنة الرسول ρ .

٣. المعتزلة فى نفيهم للصفات وقولهم أن صفات الله عز وجل هى عين ذاته وإن كانوا يقصدون تنزيه الله عز وجل فإنهم قد ضيقوا على أنفسهم حين التزموا الموقف المقابل للتصور المسيحى فى عقيدة التثليث , معتقدون أن التوحيد لا يكون إلا بإثبات صفات هى الذات , لكنهم غفلوا أن الذات تتعلق بالوجود العينى وأن الصفات تتعلق بالوجود الذهنى , وهذا ما أدركه السلف مثل الإمام الطحاوى [1] وابن تيمية فقالوا : أن الصفة ليست عين ذات الموصوف فالعلم غير العالم , ولكن الصفة لا تقوم بذاتها بل بالذات فإذا قلت : أعوذ بالله , فقد عُذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التى تقبل الانفصال بوجه من الوجوه , وإذا قلت " أعوذ بقدرة الله , فقد عذت بصفة من صفات الله ولم تعذ بغير الله .[2]

أقول على الرغم من قصد المعتزلة تنزيه الذات الإلهية إلا أنهم أحدثوا اضطرابا واسعاً فى نفيهم للصفات ولذلك تصدى لهم الإمام الجوينى فى الرد على الكعبية والنجارية وكذلك الإمام ابن القيم .

بالاضطرار أن معطى الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفاً به " أنظر: ابن تيمية : مجموع الفتاوى , (6 /72) مصدر سابق , والصواعق المرسلة لابن القيم : (3 /1018 – 1019) مصدر سابق .

1. هو أحمد بن محمد بن سلامه أبو جعفر الطحاوى الأزدى : ولد سنة 239 هـ تفقه على مذهب الحنفية , وأخذ عن شيوخ الشام وصنف فى شتى الفنون , توفى سنة 321 هـ , انظر: وفيات الأعيان:(1/ 71) مصدر سابق .

2. على بن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية , تحقيق :عبد الله بن عبد المحسن التركى وشعيب الأرناؤوط: مؤسسة الرسالة , بيروت , الطبعة : الثالثة , 1412 هـ – 1991 م , ص 64 – 65

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

٤. ومما يأخذ على الأشاعرة حصرهم الصفات الذاتية فى سبع صفات أما غير هذه الصفات فهم يأولونها كتأويلهم صفة الرضا بإرادة العقاب وصفة الرحمة بإرادة الثواب واستواء الله على عرشه بقهره له واستيلائه عليه إلى آخر تأويلاتهم لصفات الله على عكس السلف كما أسلفنا فهم يثبتون صفات الكمال المتعلقة بذاته دون الوقوع فى التأويل الذى قد يؤدى بهم إلى التعطيل أو التشبيه أو غير ذلك .

This file was downloaded from QuranicThought.com

ثانيا : كلام الله القرآن

عهد الله تبارك و تعالى الى ألوف من ملائكته , بالقيام على شئون الإحياء والإماتة, و فى أنحاء العالم العريض ,كما عهد الى ألوف و ألوف منهم بشئون شتى , لا ندرى منها إلا القليل و هذا التسخير الدائم خاضع لأوامر الله التى يتكلم بها ,خلقا و رزقا , و رفعا و خفضا و محواً وإثباتا , وتقديرا و تدبيرا ...الخ.

و ما حفل به علم الله فوق الحصر , و ما يدل على هذا العلم .من كلمات لا نهاية لها . فإذا كان أحدنا .فى مباشرة أعماله المحدودة .يحتاج إلى قاموس من الألفاظ .

فما ظننا برب العالمين , وهو يحكم ملكوته الواسع العظيم ؟

أن كلام الله عز وجل من السعة والاستبحار على نحو وصفه عز وجل بقوله: [﴿ ﴾ [1]

وقال تعالي [﴿ ﴾ ، [2] وكتب الله التي أنزلها علي أنبيائه مظهر من مظاهر اتصافه جل شأنه ب "الكلام " وقد كلم الله موسىً تكليما ،وسوف يكلم كثيرا من عباده يوم القيامة ،و أرسل الروح الأمين بختام الوحي إلي صاحب الرسالة العظمي فكان القرآن الكلمة الأخيرة في هدايات الله لعباده :

قال تعالي [﴿ ﴾ [3] . أما حقيقة الكلام – كصفة لله – فلا نقصر فيها

1. سورة لقمان :آيه 27.
2. سورة الكهف :آية 109
3. سورة الأنعام : آية 115

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولا نطيل ،لأني دون هذا المجال بكثير ، بيد أني أجزم بأن الكلام الإلهي ليس ألفاظاً تصنعها الشفتان واللسان ، وتضبطوا الرئتان والحنجرة والأسنان ، فذاك شأن الإنسان لا وصف الرحمن .

وتعد مشكلة "كلام الله " من أهم المشكلات التي وفق الأشعري في تقديم حل لها، ومن ثم خفت حدتها إن لم تكن قد حسمت فلا نجد ذلك الصراع العنيف الذي كان بين المعتزلة والحنابلة ، حقيقة إنه ليس أول من بين الكلام النفسي والكلام اللفظي ، فالحلول الحاسمة لا تظهر فجأة ، وإنما نجد بذور هذا التميز لدي الإمام أبي حنيفة ، غير انه منذ الأشعري حسم الصراع الدائر حول خلق القرآن .

غير أنه يتعذر أن نلتمس تمييزاً بين الكلام النفسي والكلام اللفظي في كتابة "الإبانة "الذي ألفه عقب التحول ، حيث يحكم آراءه العداء الشديد للمعتزلة [1] ،ومن ثم يبدو كما لو كان يشارك الحنابلة الرأي في القول بقدم القرآن ، إنه يقول : ولا يجوز أن يقال إن شيئاً من القرآن مخلوق لأن القرآن بكماله غير مخلوق ([2]).

ثم يكاد يقتفي أثر الإمام أحمد ابن حنبل فيما ساقه في كتابه "الرد علي الجهمية "إذا القضية الأساسية التي استند إليها الأشعري في كتابه "الإبانة " ليهدم بها القول بخلق القرآن:أن كل حي فهو متكلم ، فإذا كان الله حياً بحياة قديمة فهو لابد متكلم بكلام قديم , ومن لا يتصف بالكلام فهو متصف بالضد من الخرس والعمى والسكوت – تعالى الله عن ذلك . فالله متكلم بكلام قديم لا نجد أثرا للتمييز بين الكلام النفسى والكلام اللفظى, حقيقة إنه يصل بين الكلام والعلم وذلك ينطوى على إشارة إلى الكلام النفسى حين يقول: إذا كان غير جائز أن يوصف الله بغير العلم – أى الجهل – فكذلك غير جائز أن يوصف بغير الكلام , فكما أنه لم يزل عالماً فإنه لم يزل متكلماً , غير أنه حين يعرض لاعتراض المعتزلة : حدثونا عن اللفظ بالقرآن فإنه لا يرد رداً صريحاً متعللاً بتبرير لغوى : فيقول لا

1. هذا الاستنباط واضح من آراء الأشعري في الإبانة حيث قال في باب إبانة قول أهل الزيغ والبدعة وأما بعد فإن الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلي تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا القرآن علي آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين " راجع : الإبانة للأشعري : ص6 "

2 . الأشعري : الإبانة , ص22

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

يجوز أن يقال أنه كلام ملفوظ لأن العرب تقول لفظت اللقمة من فمى بمعنى رميتها , وكلام الله غير ملفوظ به , ثم يؤكد القول أنه لا يجوز أن يقال إن شيئا من القرآن مخلوق لأن القرآن بكماله غير مخلوق ويسوق نفس أدلة الحنابلة النقلية والعقلية على السواء , كقوله تعالى [ ] [1] والقرآن أمره والأمر غير الخلق , فهو ليس خلقه [2] , وقوله تعالى [ ] للدلالة [3] على أن كلام الله لا يتناهى ومن ثم فهو أزلى .

ومن المعلوم أن المعتزلة قد ذهبوا إلى أن معنى وصف الله بأنه متكلم أنه فعل أحدثه فى غيره , وأن موسى حين كلمه ربه من تجاه شجرة وفقاً لقوله تعالى [ ] [4] ولكن الأشعرى إذ يقول بقدم كلام الله وقيامه به يرفض صدور الكلام من تجاه شجرة , والألزم للمعتزلة فى رأيه نسبة الكلام إلى الشجرة لا إلى الله , إنه لا يجوز أن يخلق الله كلامه فى بعض المخلوقات , لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم له , ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاماً للمخلوق .[5]

ويؤول الأشعرى الآيات التى تفيد أن القرآن محدث كقوله تعالى [ ]

1. سورة الأعراف : آية رقم 54
2. الأشعري : الإبانة, ص 23 – 25 بتصرف وتلخيص
3. سورة الكهف : آية رقم 109
4. سورة القصص : آية رقم 30
5. الإبانة : ص 31

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

✌♈⌧⑨⍃♦❼✍] [1] فالمقصود بالذكر الرسول لا كلام الله , وخلاصة القول أنه لا يمكن أن نستدل من " الإبانة " إلا أن الأشعرى قد اقتفى [2] اثر الحنابلة فقال بقدم كلام الله وأن القرآن غير مخلوق , وإن كنا نجد له هذا النص المهم الذى يعد مدخلاً للتمييز بين ما هو قديم وما هو حادث فى القرآن : القرآن فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى [✍♦✍⌂ ⌂❑➔♦ ⍓➔❷⬀⬈♦✄♌≺ ✍⊙♑⍃⓿⑨✐ ⬀⬂⌘⬂ ×⍂❼ ✍⊙♦⍃⊞→❑↓⊙ ⬀⌘⌘⬂] [3] وهو فى صدور الذين أوتوا العلم لقوله تعالى [✍♦✍⌂ ⌂❑➔♦ ⬈♦✄③♦⓵☼●⌨ ≺♦❹⍅⍓✡❑⓵☼● ×⍂❼ ⓵←⑨←❒❻✐ ✄✍✐▲⍓⍃⇦▫⍓] [4] وهو متلو بالألسنة لقوله الله 🕮⬆❒✍➔❑✄☎ ✄✍⑨⍃➔⍃▫⍓⌘ 🗐] [5] , فالقرآن مكتوب فى مصاحفنا فى الحقيقة , محفوظ فى صدورنا فى الحقيقة , متلو بألسنتنا فى الحقيقة , مسموع لنا فى الحقيقة إذا يقول تعالى [▫♦⍃❒♉⍃❷⬀■← ❍⌧⌧☹✸✐🗐 ④❑❍⇔☺⌧⬈⌧ ✍⌧■⓵☠⌘ ✄✍✎★] [6] , القرآن أو بالأحرى كلام الله يطلق على أكثر من نحو واحد , فليس حال الكلام فى اللوح المحفوظ هو نفس حاله أو صفته حين يكون فى المصاحف مكتوباً أو على الألسن متلواً أو فى الأذان مسموعاً, وإنما يطلق كلام الله على نحوين : الكلام النفسى القديم المعلق بالعلم وهو القائم بذات الله , والكلام المكون من حروف وأصوات وهو الحادث , ولم يكن المعتزلة يميزون هذا التميز مستندين إلى أن الكلام أمر ونهى وخبر واستخبار وأن الأمر يقضى أن يتوجه الخطاب

---

1. سورة الأنبياء : آية 2

2. بين ذلك أبو الحسن الأشعرى : وهو يوضح أصول مذهبه حيث قال " قولنا الذى نقول به , وديانتنا التى ندين بها, التمسك بكتاب ربنا عز وجل , وسنة نبينا υ وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث , ونحن بذلك معتصمون , وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل – نضر الله وجهه , ورفع درجته , وأجزل مثوبته , ولما خالف قول مخالفون , لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح = به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين , فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليل معظم مفخم , راجع : كتاب الإبانة لأبى الحسن الأشعرى : ص 8 –9

3. سورة البروج : آيه 22

4. سورة العنكبوت : آيه 49

5. سورة القيامة : آية 16

6. سورة التوبة : آية 6

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فيه إلى مأمور , كما يتوجه النهى إلى من ينهى , أما الخبر فهو وصف لحادث وكل ذلك محدث , على أن الأشعرى لا ينظر إلى موضوع الخطاب وإنما إلى العلم الذى يشتمل عليه الخطاب , فسواء أكانت الآيات أمراً أم نهياً أم خبرا أم استخباراً فذلك كله يرجع إلى صفة واحدة لله هى صفة العلم , وكما أن العلم واحد وأن تعلقه بما هو واجب أو جائز أو مستحيل , كذلك الكلام النفسى يدل على معنى واحد قائم بالله قديم , وإن تعلق بأمر ونهى أو خبر أو استخبار , وكما أن علمه واحد مع كثرة المعلومات , وقدرته واحدة مع تعدد المقدرات وإرادته واحدة قديمة مع حدوث المرادات , وكذلك كلامه فإنه واحد مع تعدد متعلقاته , أزلى لأن نسبة الأزلية إلى عموم متعلقاتها واحدة , يقول الشهرستانى معبراً عن رأى الأشعرى : إن الكلام له صفة واحدة لا خاصية واحدة ولخصوص وصفها حد خاص , أما كونه أمرا ونهياً وخبراً واستخباراً فهى خصائص للكلام وليست أقساماً له , كانقسام العرض إلى أصنافه المختلفة (لون – طعم – رائحة ...) أو الحيوان إلى أنواعه المتميزة [1] ولكن مازال للمشكلة جانب معلق , كيف يتوجه الخطاب بكلام الله الأزلى إلى موجود محدث ؟ هل يجوز أن يتوجه كلام قديم إلى كائن محدث ؟

حقيقة للمشكلة نظائر , وقد سبق للمعتزلة أن عالجوها , وكلها تتعلق بصلة الأزلى بالحادث أو للامتناهى . تعلق علم الله الأزلى بالمعلوم الحادث , تعلق القدرة القديمة اللامنتاهية بالمقدورات المتناهية , ولكن المشكلة فى الكلام تختلف لأن الكلام موجه إلى مخاطب كان قبل خلق الله إياه عدماً فهل يجوز أن يتوجه الخطاب إلى معدوم ؟ أدرك ابن كلاب ذلك فذهب إلى عدم جواز توجيه الخطاب للمعدوم , ومن ثم فإن كلام الله فى الأزل لا يتصف بكونه أمراً أو نهياً أو خبراً أو استخباراً إلا عند وجود المخاطبين [2]. ولكن الأشعرى ينظر إلى الكلام من حيث دلالته على العلم الأزلى , فهو على صفة واحدة وإن تعلق بأنحاء متعددة أو توجه إلى مخاطبين محدثين , فالله آمر بأمر قديم , ناه بنهى قديم , لأنه تعالى مالك والملك من له الأمر والنهى .

---

1. عبد الكريم الشهرستانى : نهاية الإقدام فى علم الكلام , حرره وصححه : الفرد جيوم : بدون ذكر الدار أو البلد أو الطبعة وتاريخها , ص 191 , والإبانه للأشعرى : ص 34 – 35

2 . الشهرستانى : نهاية الإقدام فى علم الكلام , ص 204

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

إما الإمام الجوينى فيقول : إن البارى عز وجل متكلم بكلام أزلى قديم , لا مفتتح لوجوده وأجمع المنتمون إلى الإسلام على إثبات الكلام ولم يصر صائر إلى نفيه , ولم ينتحل أحد فى كونه متكلماً نحلة نفاه الصفات فى كونه عالماً قادراً حياً [1] والدليل على قدم كلام الله عز وجل كما أثبته الجوينى أنه لو كان حادثاً لم يخل من أمور ثلاثة :

أما أن يقوم بذات البارى تعالى , أو يقوم بجسم من الأجسام , أو يقوم لا بمحل وقد بطل قيامه بذاته إذ يستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالى , فإن الحوادث لا تقوم إلا بحادث , وبطل قيام كلامه بجسم إذ يلزم أن يكون المتكلم ذلك الجسم [2] , وبطل قيام الكلام لا بمحل , فإن الكلام الحادث عرض من الأعراض ويستحيل قيام الأعراض بأنفسها. [3]

وإذا يخالف الجوينى المعتزلة , فإنه من ناحية أخرى يخالف الحشويه الذين ذهبوا إلى أن الحروف والأصوات قديمة [4] ومن ثم فهو يؤكد التفرقة بين الكلام النفسى القديم وبين الكلام اللفظي الحادث , وبين المتلو وهو كلام القديم وبين التلاوة وهى أصوات المقرئين وترتيلهم , بين المسطور فى المصاحف وهو كلام الله , فما يفهم من الكتابة فهو قديم أما الكتابة فهى حادثة , والكلام النفسى هو المقصود حقيقة من الكلام , إذ تعريف الكلام أنه القول القائم بالنفس الذى تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه الإشارات [5] وفى ذلك يقول " قد أنكرت المعتزلة الكلام القائم بالنفس . وزعموا : أن الكلام هو الأصوات المتقطعة والحروف المستعملة , ونفوا كلاماً قائماً بالنفس سوى العبارات الآتية إلى الحروف "

قال أبو بكر بن ميمون أن كلام النفس أمر يعقله الإنسان ويعلمه , ولا يجوز منه أن ينكره , وقد تفطنت له الطائفة المنطقية فإنهم تسموا ما يتحصل علمه بالحدود تصوراً وما

1 . أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص 236

2. ذلك مما قال به المعتزلة ,والجوينى لم يدحض هذا الرأى كما ينبغى ولا جديد فيما قال, إذ سبقه إلى ذلك الأشعرى كما وضحنا من قبل

3. الجوينى : لمع الأدلة , ص 89 , 91

4. الجوينى : كتاب الإرشاد , ص 39

5. المرجع السابق : ص 104

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

علم بالبرهان تصديقاً . فإذا قال القائل : كل إنسان حيوان , وكل حيوان حساس , يلزم أن ينتج : كل إنسان حساس . فهذا معنى عقلته النفس وأخبرت به على ما هو به وصدقت ذلك الخبر , ولولا إثباتها كلام النفس ما صح منهم أن يسموا ذلك العلم تصديقا , لأن التصديق لا يتعلق إلا بالخبر , ولا يصح تعلقه بالعلم . [1]

وهذا الكلام وافق آراء عبد القاهر البغدادى [2] (ت 429هـ) حيث يقول وكلام الله صفة له أزلية قائمة وهى أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده , ويؤكد الأشاعرة ومنهم البغدادى أن الكلام صفة قائمة بالله لا بغيره , ردا على المعتزلة الذين قالوا بصدور كلامه لموسى تجاه شجرة , أنه لو كان الكلام حادثاً فى محل لكان المحل به متكلما , وكلام الله فى المصحف مكتوب وفى القلب محفوظ وباللسان متلو , ولكن الكتابة غير المكتوب والقراءة غير المقروء والتلاوة غير المتلو , إذا الكتابة والقراءة والتلاوة محدثة بينما المكتوب والمقروء والمتلو واحد قديم هو كلام الله [3] وكذلك جاء فكر الإمام الغزالى موافقاً ومؤيداً لهذه الآراء حيث يقول الله متكلم وكلامه قديم : فهو متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلامه كلام الخلق , والقرآن قديم قائم بذات الله لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق , وأن موسى υ سمع كلام الله بلا صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله سبحانه وتعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا شكل ولا لون ولا عرض . [4]

وإذا ذكرت صفة الكلام عند السلف يتبادر إلى الذهن محنة الإمام أحمد بن حنبل فى خلق القرآن وثباته ودفاعه عن القرآن الكريم والسنة ضد أفكار المعتزلة ويحدثنا فى ذلك الإمام ابن كثير [5] (ت 774هـ) قال فلما لم يقم لهم معه حجه عدلوا إلى استعمال جاه

1. أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص 244
2. هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمى: عالم بالفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الكلام , درس فى سبعة عشر فناً من العلوم وله العديد من المصنفات , توفى سنة 429 هـ , انظر طبقات الشافعية الكبرى , (5/ 136) , البداية والنهاية , (48/12)
3. عبد القاهر البغدادى : أصول الدين , دار الكتب العلمية , بيروت الطبعة : الثانية , 1980م ص 102 – 105
4. الإمام أبو حامد الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد , ص 58 – 63 بتصرف وتلخيص
5. هو الإمام الحافظ المؤرخ المفسر : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن ضو بن كثير بن ضو بن زرع القيسى القرشى : اشتهر بلقب ابن كثير منسوباً إلى جده : ولد بـ " مجدل " وهى قرية شرقى بصرى من أعمال دمشق فى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الخليفة فقالوا يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلى سبيله ويغلب خليفتين فعند ذلك حمى واشتد غضبه وكان ألينهم عريكة , وهو يظن أنهم على شئ , قال الإمام أحمد " فعند ذلك قال لى لعنك الله " ثم قال المعتصم طمعت فيك أن تجيبنى ثم قال : خذوه واخلعوه واسحبوه , قال أحمد : فأخذت وسحبت وخلعت وجئ بالعاقبين والسياط , وأنا أنظر وكان معى شعرات من شعر رسول الله ρ مصرورة فى ثوبى فجردونى منه وصرت بين العقابين فقلت يا أمير المؤمنين الله الله إن رسول الله ρ قال " لا يحل دم امرء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث " وتلوت الحديث وأن رسول الله ρ قال " أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم " فلمَ تستحل دمى ولم آت شيئاً من هذا ؟ يا أمير المؤمنين أذكر وقوفك بين يدى الله كوقوفى بين يديك , ولم تؤثر هذه النصوص الصحيحة الثابتة فى المعتصم بل زادته طغياناً وعلواً وفساداً , قال الإمام أحمد فأمر بى فقمت بين العقابين وجئ بكرسى فأقمت عليه وأمرنى بعضهم أن آخذ بيدى بأى الخشبتين, فلم أفهم فتخلفت يداى وجئ بالضرابين ومعهم السياط فجعل أحدهم يضربنى بسوطه ويقول المعتصم شد قطع الله يديك ويجئ الآخر فيضربنى سوطين ثم الآخر كذلك حتى أغمى على وذهب عقلى مراراً فإذا سكن الضرب يعود على عقلى , وقام المعتصم إلى يدعونى إلى قولهم (أى قول المعتزلة بخلق القرآن) فلم أجبه , وجعلوا يقولون : ويحك الخليفة على رأسك فلم أقبل , وأعادوا الضرب ثم عاد إلى الخليفة فلم أجبه فأعادوا الضرب ثم جاء إلى الثالثة فدعانى فلم أعقل ما قال من شدة الضرب , ثم أعادوا الضرب فذهب عقلى فلم أحس بالضرب , وأرعبه ذلك من أمرى , وأمر بى فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا فى حجرة من بيت , وقد أطلقت الأقياد من رجلى وكان ذلك فى اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين .

سنة 701 هـ , وكان أبوه خطيباً بها , ثم انتقل إلى دمشق سنة (707 هـ) , حفظ القرآن الكريم وقرأ بالقراءات وبرع فى التفسير والفقه والنحو واقبل على حفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع فى ذلك وهو شاب , تتلمذ على شيوخ كبار مشهورين منهم ابن تيمية المتوفى عام 728 هـ والذهبى المتوفى عام 748 هـ وغيرهم . للمزيد راجع : الدر الكامنة لابن حجر العسقلانى: (1 / 60) , والنجوم الزاهرة لجمال الدين يوسف بن تغرى: (11 / 133) مصدر سابق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

قال الإمام ابن كثير , ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله , وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً وقيل ثمانين سوطاً ولكن كان ضرباً مبرحاً شديداً جداً [1] قلت : لولا الله عز وجل ثم الإمام أحمد ووقوفه أمام تلك القوة الباغية بذلك الإيمان الراسخ وتضحيته وفداؤه لما كان لنا هذا القرآن وهذه السنة ولاندثرت معالم الحق وينابيع الخير وطمست معالم عقيدة السلف , ولما كان للإمام ابن تيمية ذلك الجهاد القوى المتين الذى يضرب به المثل .

يقول الإمام احمد فى صفة الكلام لله عز وجل : إن لله عز وجل كلاماً هو به متكلم وذلك صفه له فى ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت وامتدح بها نفسه فقال عز وجل فى الذين اتخذوا العجل [📖❒🏵♦⬄ ③♦❷♦❒⬀✂☎ 📖❒☼✵❍⬅⓵ •• ③♦⯑⑨♋⑨&✗⬀ ❒♦•• ③↖▤•◘&♋☺⬅♑⬅☠⬀ ✂✍✌✦③•❿↗❒■⬅ ❍ ⓪♋⌛⍔⓿☒⏲ ❒♦🗎•🔔☼⬅❑✂☎ ⬅•⏲◘⍔☺♋✓▫➷] [2] فعابهم لما عبدوا إلهاً لا يتكلم ولا كلام له فلوا كان إلهاً لا يتكلم كلام له رجع العيب عليه وسقطت حجته على الذين اتخذوا العجل من الوجه الذى احتج به , ويزيد ذلك أن إبراهيم υ أنَّب أباه بقوله [③♦⏲✵🕯❒✍♦💣♋ 🏵♋♋☠⌘ ✍•➔⬀🖮⑨⬅ ✌♦✍ •• ③♦❍⬄☺⍓➚⬅ ❒♦•• ③↖🖮⬀⬀⬀❸⬅ ❒♦•• ③↖⬄⬂♈✗✗ ↖♦✡🖮⍓ ⅄☒⓿⬂★ॐ✍] [3] وحكى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما فسرا قوله عز وجل [🔔➔❷⬀↗♦✂☼⏲✍ ↖♦❷♦✍⍔⑩⑦✍ ↘☒❷⬀❸♦ ❶♋❽ ↖♋❑♦●🖰 🏵♋⅄➔⍓🖬✵♑⬅☠⬀ ③♦☝✸☽➔❑♌♦] [4] قالا غير مخلوق .[5]

وعلى مذهبه أن من قال إن القرآن عبارة عن كلام الله عز وجل فقد جهل وغلط , وأن الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله عز وجل دون العبارة عنه ودون الحكاية له, وتبطل الحكاية عنده بقوله عز وجل [❒♦✍☒🖬✵☠⌘ ✂✍✎✦ ✌↖❑☙⍓✗🗐

1 . ابن كثير : البداية والنهاية , (10/ 334) مصدر سابق
2. سورة الأعراف : آية 148
3. سورة مريم: آية 42
4. سورة طه : آية 113
5. عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمى : اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل , دار المعرفة , بيروت , عدد الأجزاء 1 , (1 /296)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

[✍♦⌛⇩🖬🖄⑩☺✞〰][1]وتكليما مصدر تكلم يتكلم فهو متكلم , وذلك يفسد الحكاية ولم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين من المتقدمين من أصحاب رسول الله ρ والتابعين عليهم السلام القول بالحكاية والعبارة , فدل على أن ذلك من البدع المحدثة .[2]

ويؤيد هذا الكلام أئمة الحديث فيقولون القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق وأنه كيفما يصرف بقراءة القارئ له وبلفظه ومحفوظاً فى الصدر متلو بالألسنة مكتوباً بالمصاحف غير مخلوق , ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن فهو قد قال بخلق القرآن .[3]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أن السلف والأئمة متفقين على أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق , وقد علم المسلمون أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلى محمد ρ وبلغه محمد إلى الخلق , وأن الكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه , بل هو كلام لمن قاله مبتدئاً لا كلام من بلغه عنه مؤدياً .

ويضرب الإمام ابن تيمية مثالاً على ذلك فيقول : فالنبى ρ إذ قال (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد حتى وصل إلينا , كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به إنما سمعناه كلام رسول الله ρ الذى تكلم به بلفظه ومعناه , وإنما من المبلغ عنه بفعله وصوته ونفس الصوت الذى تكلم به النبى ρ لم نسمعه وإنما سمعنا صوت [4] المحدث والكلام كلام رسول الله ρ لا كلام المحدث , فمن قال إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله ρ كان مفترياً وكذلك من قال : إن هذا لم يتكلم به رسول الله وإنما أحدثه غيره , أو أن النبى ρ لم يتكلم بلفظه وحروفه بل كان ساكناً عاجزاً عن التكلم بذلك فعلم غيره ما فى نفسه فنظم هذه الألفاظ ليعبر بها عما فى نفس النبى ρ , ونحو هذا الكلام , فمن قال هذا كان مفترياً ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبى ρ كان مفترياً .

---

1. سورة النساء : آية 164
2. اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل : ص 296 – 297
3. أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلى : اعتقاد أئمة الحديث ,دار العاصمة الرياض , الطبعة الأولى 1412هـ , تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الخميس : عدد الأجزاء , (1 / 60)
4. ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل , (1 / 149) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فإذا كان هذا معقولاً فى كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بإثبات ما يستحقه من صفات الكمال وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله هى صفات العباد وأفعالهم , أو مثل صفات العباد وأفعالهم .[1]

فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله كما قال تعالى [﴿ ﴾] [2] ليس هو كلاماً لغيره لا لفظه ولا معناه , ولكن بلغه عن الله جبريل , وبلغه محمد ρ عن جبريل ولهذا أضافه الله إلى كل من الرسولين لأنه بلغه وأداه لا لأنه أحدث لفظه ولا معناه, إذ لو كان أحدهما هو الذى أحدث ذلك لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر , فقال تعالى [﴿ ﴾] [3] فهذا محمد ρ وقال تعالى [﴿ ﴾] [4] فهذا جبريل υ

وقد توعد الله تعالى من قال [﴿ ﴾] [5] فمن قال إن هذا القرآن هو قول البشر فقد كفر وتوعده الله عز وجل أن يصليه سقر .

---

1. المصدر السابق : نفس الصفحات .
2 . سورة التوبة : آية 6
3 . سورة الحاقة : الآيات من 40 – 43
4 . سورة التكوير : الآيات 19 –21
5 . سورة المدثر : آيه 25

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ρ كان يقول فى خطبته إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ρ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله فدين المسلمين مبنى على اتباع كتاب الله وسنة رسوله ρ , وما اتفقت عليه الأمة , فهذه الثلاثة أصول معصومة وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله ورسوله وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالى عليها ويعادى غير النبى ρ , وما اجتمعت عليه الأمة [1] , بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة .

وفى احتجاج ابن القيم على المعتزلة بقولهم القرآن مخلوق يقدم لنا فائدة جليلة فى صفة الكلام فيقول , احتج المعتزلة على مخلوقيه القرآن بقوله تعالى [⌘⏢🕓🖃🡐 ←🖃🖬🡐 ★☒⥀⇔↗🕮] ونحو ذلك من الآيات , فأجاب الأكثرون بأنه علم مخصوص يخص محل النزاع كسائر الصفات من علم ونحوه , قال ابن عقيل (ت 513هـ) ووقع لى أن القرآن لا يناوله هذا الإخبار ولا يصلح لتناوله , قال لأن به حصل عقد الإعلام بكونه خالقاً لكل شئ وما حصل به عقد الإعلام والإخبار لم يكن داخلاً تحت الخبر قال ولو أن شخصاً قال لا أتكلم اليوم كلاماً إلا كان كذباً لم يدخل إخباره بذلك تحت ما أخبر به

قال ابن القيم ثم تدبرت هذا فوجدته مذكوراً فى قوله تعالى فى قصة مريم [🡐❸✿⌑◆🖴🡒🡐◉🡕✂ ⌘Ⅱ🡐✍ ☐×🖋⇦◆❷⬩✍ 🡕☐✍🡐⌧⬩▫ ←☠↗❻☒❶◆☼ ❼🡐☐❄🡐☽ ☑❼🖋🖫❑→☽⬩▫ ✂✡⑨◆■❒🕮 ⇳Ⅱ■🖬⬩▫ 🡕✡✍↗❑✿🕒 🡒Ⅱ🕓◆☝⬀❑▪❷🖬🡐◉ ✂✿❶🡒○♦🡐☽ ◆✈↗❑◆❶🡒◉🡕✂ ⌘☠🡐&🖬•🖹🡅🕮] [2]

وإنما أمرت بذلك لئلا تسأل عن ولدها فقولها ▫⬩🖬■Ⅱ⇳ 🕮🡅🖹•🖬&🡐☠⌘ به حصل الإخبار بأنها لا تكلم الإنس , ولم يكن ما أخبرت به داخلاً تحت الخبر وإلا كان قولها مخالفاً لنذرها .[3]

1 . ابن تيمية : درء العقل والنقل , (1 / 149)

2 . سورة مريم : الآيات 25 – 26

3 . ابن القيم : بدائع الفوائد , (4 / 1020) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ومن معتقد أهل السنة أن الله يتكلم بما شاء كلاماً يليق بجلاله وعظمته , كلامه غير مخلوق , واستدل ابن القيم بالإجماع على أن الله يتكلم كلاماً حقيقياً يقوم به لا يشبه كلام المخلوقين فقال فى النونية

" والله جل جلاله متكلم بالنقل والمعقول والبرهان
قد أجمعت رسل إلا له عليه لم ينكره من أتباعهم رجلان
فكلامه حقاً يقوم به إلا لم يمن متكلماً بقرآن " [1]

واستدل أيضا بالإجماع على كذب من قال إن الله لا يكلم عباده فقال : وما أخبر الله به رسوله ρ وأجمع عليه الصحابة , والأئمة يكذب ذلك.[2]

ويبين الإمام ابن القيم أن صفة الكلام وغيرها من أفعال الرب تقوم به سبحانه , وهى ليست مخلوقة , وأن المخلوق هو المنفصل عنه الكائن بفعله وأمره وتكوينه ثم قال وذكر البغوى (ت 516 هـ) أن هذا إجماعاً من أهل السنة , واستدلال ابن القيم هنا بالإجماع منصب على أن الكلام من صفاته تعالى وليس مخلوقاً وهذا ظاهر من كلامه رحمه الله [3] , ومما سبق عرضه فى صفة الكلام يتضح لنا الآتى :

١. أن كلا من الأشاعرة والسلف متفقون على أن القرآن الكريم , كلام الله عز وجل , غير مخلوق .

وقد وفق الأشعرى كما بينا فى تقديم حلول لهذه المشكلة التى أثارت ضجة كبيرة وصراع عنيف بين المعتزلة والحنابلة , ومن الحلول التى قدمها الفرق بين الكلام النفسى والكلام اللفظى , كان من أدلته أن كلام الله قديم , أن كل حى متكلم , فإذا كان الله حيا بحياة قديمة فهو لابد متكلم بكلام قديم , ومن لا يتصف بالكلام فهو متصف بالضد من الخرس والسكوت تعالى الله عن ذلك .

---

1 . ابن القيم : النونية مع شرح ابن عيسى , (1 / 303)

2. ابن القيم : حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح , دار الكتب العلمية , بيروت , الطبعة :الأولى , 1403هـ – 1983 م , عدد الأجزاء , ص 246

3 . ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية , ص 238 – 239

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقد أدلى الإمام الجوينى برأيه , وكلذلك الغزالى والبغدادى , والكلام يكاد يكون متشابه فهم جميعاً متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق .

٢. موقف الإمام أحمد فى هذه المشكلة – يعد من ثبات العلماء , فلو أنه أقر أن القرآن مخلوق لتبعته الأمة قاطبة , ومعنى أن القرآن مخلوق أى يفنى ويموت ويطرأ عليه التغيير , وهذا مدخل لتحريف القرآن الكريم الذى تعهد المولى عز وجل بحفظه بقدرته , فسخر لحفظه رجال أشداء فى الحق أمثال الإمام أحمد بن حنبل وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ثالثا : الصفات الفعلية

الصفات الفعلية هى الصفات المتعلقة بالمشيئة والإرادة , أى التى يفعلها الله سبحانه وتعالى فى وقت دون آخر كالنزول والحب والبغض والضحك والرضى والفرح والغضب وغيرها , ومن أسمائه تعالى التى ترجع إلى صفات الأفعال (المحيى) ويقابله (المميت) فكل شئ يقدر عليه وعلى ضده فهو من صفات الأفعال . فكل صفات الأفعال تعتبر حديثه عند الأشاعرة , وكل صفة لله موجوده قبل فعله لها تعتبر صفه فعل عندهم

يقول الباقلانى : وصفات فعله هى الخلق والرزق والعدل والإحسان والتفضل والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها " [1] إن صفات الأفعال لا تحتاج عند الأشاعرة إلى صفة التكوين بل تحتاج إلى صفة القدرة والإرادة فقط , وليس هناك حاجة إلى صفة أخرى , بل الإرادة تحدد المراد وصفة القدرة توجده , وأولوا صلاحيتها لذلك لما كانت صفة للقدرة , هذا هو معتقد الأشاعرة فى صفات أفعال الله تعالى .

وقول الأشاعرة فى صفات الأفعال هو قول المعتزلة حيث وافقوهم فى ذلك إلا فيما يعدونه من صفات الفعل , فالمعتزلة بأسرهم أنكرت أن يكون الله سبحانه لم يزل متكلماً, راضياً , ساخطاً , مبغضاً , منعماً , رحيماً , موالياً , معادياً , جواداً , حليماً , عادلاً , محسناً , صادقاً , خالقاً , رازقاً , بارئاً , مصوراً , محيياً , مميتاً , آمراً , ناهياً, مادحاً , ذاماً, وزعموا بأجمعهم أن ذلك أجمع من صفات الله التى يوصف بها لفعله .[2]

والأشاعرة وافقوا المعتزلة فى هذا المعنى, وأنكروا أن يكون الله متصف بالصفات الفعلية قبل فعله لها .

فعند الأشاعرة أن الله سبحانه ليس متصفاً بصفة الخلق قبل أن يخلق وليس برازق قبل أن يرزق , وليس متصفاً بأنه محيى قبل أن يحيى ولا بمميت قبل أن يميت , ولا شك أن هذا هو عين التعطيل يقول أبو عذبة : " وعند الأشعرى أنها – أى صفات الأفعال–

1. الباقلانى : التمهيد , ص299 مصدر سابق
2. أبو الحسن الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين , تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد : مكتبة النهضة المصرية , الطبعة: الثانية , 1969م , (1 / 263)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

حادثة فقبل الخلق والرزق لا يكون خالقاً ورازقاً عند الأشعرى على ما تقتضيه حكم اللغة " [1] والإمام الجوينى فى رده على كلام الكرامية [2] , أتى بنفس المعنى فهو يقول " قد ذكرنا فى خلل الكلام من مذاهب الكرامية , أنهم وصفوا الرب تعالى بكونه خالقاً فى أزله , وبنوا ذلك على أصلهم فى أن الرب سبحانه لا يثبت له اسم جديد فيما لا يزال , لم يكن ثابتاً له فى الأزل , وقد صار بعض المنتمين إلى أصحابنا إلى أن القديم كان موصوفاً فى أزله بكونه خالقاً , وعنى هؤلاء بذلك كونه قادراً على الخلق والإختراع . والاختلاف يؤول إلى العبارات دون المعانى " [3] وهكذا نجد الإمام الجوينى ينكر على الكرامية وصفهم الرب بكونه خالقاً فى الأزل قبل أن يخلق , ويؤول كلام أصحاب مذهبه بوصفهم الله عز وجل خالقاً فى الأزل بالقدرة على الخلق والاختراع, ونتساءل ما هى الأسباب التى جعلت الإمام الجوينى يقول بهذا الرأى

يجيب هو فيقول وسلك الكرامية مسلكاً آخر , فزعموا أن القديم خالق فى أزله بالخالقية , ولم يفسروا ذلك بالاقتدار على الخلق , وهذا الذى قالوه باطل من أوجه :

أحدهما : أن الخالق مبنى على قضية الإطلاق على الأفعال , مسند إليها , جار عليها . فإذا استحال إطلاق ما عليه يجرى الإسم , استحال إطلاق الإسم .

ويبين ذلك بقوله أن الأمة أجمعت على منع إطلاق القول بأن القديم خلق فى أزله وكان يخلق , فإذا امتنع قولهم : خلق بخلق , والخالق جار على الماضى والمضارع وجب أن يمتنع إطلاقه أيضا , ومن متناقض القول بين أرباب الألباب أن يقول القائل : خالق ما خلق قط .

---

1 . الحسن بن عبد المحسن الشهير بأبى عذبة : الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية , تحقيق عبد الرحمن عميرة : طبعة عالم الكتب , الطبعة: الأولى بدون تاريخ , ص 63

2 . الكرامية : هم أتباع محمد بن كرام السجستانى , وهو من المتكلمين , وشيخ الكرامى , وقد افترقوا عدة فرق , قال عنه بن حجر : العابد المتكلم شيخ الكرامية , ساقط الحديث على بدعته , سجن لبدعته ثمانية أعوام بنيسابور , مات (255هـ) , وقيل (256هـ) , انظر : لسان الميزان, (5 / 353) مصدر سابق , الخطط للمقريزى : (2 / 357) مصدر سابق

3 . الإمام الجوينى : الشامل , ص 305 مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ثم نسائلهم عن الخالقية : فإن فسروها بالقدرة على الخلق , كان أمرهم أقرب . وإن فسروها بوجه آخر , لم يجدوا إلى الإيضاح سبيلا . ولا نراهم يفسرون الخالقية بصفة موجودة زائدة على الذات . إذ لو قالوا ذلك , لزمهم إثبات جمل من الصفات التى تصدر عن أجناس الأفعال حتى يكون رازقاً بالرازقية , محسناً بالمحسنية , وهكذا القول فى المحى المميت , والمعز والمذل. [1]

ثم قال الجوينى وإن قال قائل : أن الموجود الذى يتأتى فيه الشئ , قد يوصف به وإن لم يكن فى حالة فعل , ولذلك يسمى القادر على الكتابة كاتباً , وإن لم يكن فى حالة الكتابة , وكذلك القول فى جملة المحترفين .

وهذا الذى ذكروه تسبب وتجوز وتوسع . وتسمية الناس العالم بالكتابة كتسميتهم المغمى عليه عالماً إذا كان ممن يعلم فى مستقر العادة عند انجلاء الغشية عنه , مع العلم بأن حالته تنافى العلم . وكذلك قد يسمى السيف الحديد الغرار [2] , المرهف , قاطعاً , وليس المراد بذلك صدور القطع , ولكن من حيث كان آله فى القطع على مستقر العادة , فسمى قاطعاً تجوزاً , فلا معّول على المتوسعات فى بغية الحقائق [3]

وقال الإمام الرازى [4] (543 هـ – 606 هـ) : وهو الأشعرى المذهب رداً على الماتريدية [5] قال – قول من فقهاء – ما وراء النهر – يقصد الماتريدية – يقولون إن صفة التخليق مغايرة لصفة القدرة , وقال الأكثرون – وهو منهم – ليس كذلك. [6]

---

1. الإمام الجوينى : الشامل , ص 306.
2. الغرار : هو حد السيف والرمح والسهم ,انظر لسان العرب لابن منظور: (باب ظبأ – ج 22/15) .
3. الإمام الجوينى : الشامل , ص 307 مصدر سابق
4. هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحسين بن الحسن بن على : فخر الدين الرازى : الشافعى مذهباً , الأشعرى عقيدة , عرف فلسفة الفارابى وابن سينا , وجمع بين العلوم الشرعية والفلسفية وانعكس ذلك فى مؤلفاته ومذهبه , انظر: ترجمته فى وفيات الأعيان , لابن خلكان : (248/4) , السير للذهبى : (500/20) مصدر سابق , لسان الميزان , (4 /426) مرجع سابق .
5. أتباع محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدى: نسبة إلى ماترید السمرقندى , وهى محلة قرب سمرقند, ومن أبرز تصانيفه التوحيد والمقالات , توفى سنة 333 هـ ودفن بسمرقند على المشهور أنظر: الأعلام للزركلى : (19/7) مصدر سابق
6. فخر الدين محمد بن عمر الرازى : أصول الدين , راجعة : طه عبد الرؤوف , مكتبة الكليات الأزهرية , القاهرة , بدون رقم الطبعة وتاريخها , ص 59

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقال : محمد بن محمد بن الأمير فى حاشيته على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد فى ذكر الخلاف : " ثم المراد بالإيجاد ما يشمل الإثبات إن قلنا بثبوت الأحوال فتكون من متعلقات القدرة بخلاف الاعتبارات إذ لاثبوت لها على ما تقدم غير مرة , واعلم أن هذا قول الأشاعرة : وقالت الماتريدية الإيجاد بالتكوين وهو عندهم صفة ذاتية قديمة , وإن كان المكون حادثاً ويسمونه باعتبار متعلقاته بصفات الأفعال من رزق وإماتة وإحياء .

والحق كما قال السعد التفتازانى – أنه لا دليل على هذا فليس إلا القدرة وتعلقاتها المتجددة , وهذا معنى قولهم صفات الأفعال قديمة عند الماتريدية , حادثة عند الأشاعرة , فالخلاف حقيقى على الوجه السابق وهو المفاد من كلام المحققين [1]

وقد حاول الإمام الغزالى رفع هذا الإشكال كما بينا ذلك من قبل فى الفصل الأول حيث ذكر أصل المسألة :" قال قوم – أى الماتريدية – هو صادق أزلاً إذا لو لم يصدق لكان اتصافه به موجباً للتغيير , وقال – أى الأشاعرة – لا يصدق إذ لا خلق فى الأزل فكيف خالقاً , ثم اختار هو لرفع هذا الخلاف طريقة القوة والفعل فقال : إن كون الله خالقاً قبل الخلق بالقوة , وكونه خالقاً بعد الخلق بالفعل , كالسيف يسمى صارماً بالقوة فى الغمد , كما يسمى صارماً بالفعل عند حصول القطع به , والماء فى الكوز يسمى مروياً بالقوة , وعند الشرب يسمى مروياً بالفعل .[2]

ولا شك أن ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة فيه تعطيل لصفات البارى جل وعلا , فقد عطلوا أن يتصف الله بصفة الخلق إلا بعد أن يخلق , ولم يتصف بصفة الرزق إلا بعد أن يرزق ولا بصفة الإحياء والإماتة إلا بعد أن يحيى ويميت وغيرها من صفات الفعل .

وبناء على ما سبق فإن الأشاعرة ومعهم الإمام الجوينى قالوا : إن صفات الأفعال حادثة وليست من الصفات الذاتية ثم قالوا : بأن من كانت صفاته حادثة , لزم قيام الحوادث بذات الله تعالى , ولذلك جعلوا الخلق هو المخلوق , والفعل هو المفعول وكذا الضرب هو المضروب والكسر هو المكسور .

---

1. محمد بن محمد بن الأمير : حاشية إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد , مصطفى البابى الحلبى , مصر ,1368 هـ , 1947 , بدون رقم , ص 79

2 . الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد , ص101 مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولذلك قال الرازى :"إنه لا معنى لكونه تعالى خالقا, إلا وقوع المخلوق بقدرته " [1]

ولاشك أن الأشاعرة وافقوا المعتزلة فى حدوث الصفات الفعلية وعدم اتصافه سبحانه بها أزلاً , وإن قيل لهم (الأشاعرة) : إن قولكم أن الله تعالى خالق العالم بعد أن لم يكن العالم موجوداً وهو قبول بحلول الحوادث به جل وعلا .

أجابوا بأن : الخلق هو المخلوق والفعل هو المفعول , وقولهم هذا يعنى أن صفة الخلق لم تقم بالخالق عند الخلق , خوفاً من حلول الحوادث , وإنما وجد المخلوق منفصلاً عنه , من غير صفة قامت بخالقه , ولا سبب اقتضى إيجاده , فجعلوا مفعوله هو فعله , وجعلوا فعله وإرادة فعله قديمة أزلية والمفعول متأخراً [2]

ثم إنه من العجيب أن الرازى يرد على نفسه وعلى جميع الأشاعرة فيما ذهبوا إليه من أن الخلق هو المخلوق , أو أن صفة الخلق هى وجود المخلوق حيث قال الرازى : إنه لا يمكن أن يكون كونه خالقاً هو نفس وجود المخلوق وذلك لعدة وجوه :

الأول : أن الخالقية صفة الخالق فلو كان المفهوم منها هو نفس وجود المخلوق لزم كون المخلوق صفة للخالق وهو محال .

والثانى : أنا متى سئلنا أن هذا المخلوق لم وجد , أجبنا بأنه إنما وجد لأن الخالق خلقه , فلو كان كون الخالق خالقاً عبارة عن عين وجود المخلوق لكان يرجع اصل الكلام إلى أن نقول إنما وجد ذلك المخلوق لأنه وجد ذلك المخلوق , فيكون الشئ قد وجد بنفسه والقول بذلك نفى للخالق والمخلوق وهو محال .

والثالث : أنا لما عللنا وجود المخلوق بأن الخالق خلقه وجب أن يكون كون الخالق خالقاً مغايراً لوجود المخلوق لأن تعليل الشئ بنفسه محال .

---

1. فخر الدين الرازى : الأربعين فى أصول الدين , مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية , حيدر اباد , الطبعة الأولى , 1353 هـ , ص 187

2. شيخ الإسلام ابن تيمية: منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية , تحقيق : د. محمد رشاد سالم : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود, الرياض , الطبعة: الأولى , 1406 هـ- 1968م ,(1/155- 158)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نثبت بمجموع ما ذكرنا أن المفهوم من كونه خالقاً أمر ثبوتى مغاير لذات الخالق ولذات المخلوق , وثبت أن الخلق ليس نفس المخلوق. [1]

بيد أن قول الرازى فيه إلزام للأشاعرة فى جعلهم صفة الخلق هى وجود المخلوق ولكن هل ترك الرازى فعلاً معتقد الأشاعرة فى هذه المسألة ونحى منحى آخر ؟ والواقع أنه لم يخالف معتقد الأشاعرة , ولم ينحى منحى آخر غير ما عليه أسلافه . إذاً فما معنى كلامه السابق و الإلزامات التى ألزم بها نفسه وغيره من الأشاعرة والجواب فى ذلك هو : أن هذا التغاير بين صفة الخلق والمخلوق ليس تغايراً حقيقياً وإنما هو تغاير يحصل فى الذهن فقط لا وجود له وجوداً ثبوتياً خارج الذهن , وهنا تعود المسألة إلى أصلها ويعود معتقد الرازى فى المسألة إلى أصل معتقد الأشاعرة . وهو أن الخلق هو المخلوق وأن الفعل هو المفعول , قال الرازى موجهاً الإلزامات التى ذكرها سابقاً له " إن كون الشئ مؤثراً فى غيره , وإن كان مفهوماً مغايراً لذات الأثر وذات المؤثر ولكن لا وجود له خارج الذهن " [2]

إذ ليس هناك تغايراً بين صفة الخلق للبارى جل وعلا وبين المخلوق عند الأشاعرة بل الخلق هو المخلوق ثم ما الذى حمل الرازى على ذلك وجعله يعود إلى معتقد الأشاعرة فى هذه المسألة , ويناقض الالتزامات التى ذكرها على نفسه .[3]

ولاشك أن الذى حمله على ذلك هو نفس الشبهة التى ذكرناها فى أول المسألة وهى: أن الخلق – أى صفة الخلق – لو كان قديماً لكان المخلوق قديماً فيلزم قدم العالم وهو محال , وأيضا أن المفهوم من كون الشئ لازماً للشئ وملزوما له وحالاً فيه ومحلا له مغايراً لذات ذلك الشئ , ثم هذا الزائد زائد لا وجود له فى الأعيان وإلا لزم التسلسل. [4]

---

1. فخر الدين الرازى : لوامع البيانات شرح أسماء الله تعالى والصفات , تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد : مكتبة الكليات الأزهرية , القاهرة بدون رقم , 1396 هـ – 1976م , ص 49
2 . المصدر السابق : ص 50
3 . المصدر السابق : نفس الصفحة
4. مسألة التسلسل فى الحوادث على أقوال : فهناك تسلسل فى جانب الماضى , وتسلسل فى المستقبل وتسلسل فى جانب الماضى والمستقبل , وقد ذهب الناس فى هذه المتسلسلات على ثلاثة آراء : الأول : من منعه فى جانب الماضى والمستقبل , وهذا قول الجهم بن صفوان وأبى هذيل العلاف , والثانى : إمكانة فى المستقبل دون الماضى,

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا وقد استدل الأشاعرة على قولهم فى المسألة بما يلى :

حيث قالوا : لو كان الخلق غير المخلوق , والتأثير غير الأثر فذلك الخلق , إن كان قديماً لزم قدم المخلوق , وإن كان حادثاً افتقر إلى خلق آخر , ويلزم التسلسل [1], فهم قالوا بأمرين :

الأول : امتناع حوادث لا أول لها .

الثانى : الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق.

وجماع هذين الأمرين هو الفرار من القول بقيام الصفات الاختيارية به تعالى , وهو ما (يسمونه بحلول الحوادث) وأن من قامت به الحوادث فهو حادث

وبيان ذلك باختصار : هو أن أعظم وأشهر حجة عند الأشاعرة وبخاصة فى إثبات وجود الله تعالى : وهو قولهم بإثبات حدوث العالم , وأن العالم محُدَّث وله محُدث وهو الله تعالى , والعالم مكون بعد أن لم يكن من أعراض وأجسام حادثة وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث و وبناءاً عليه فالعالم حادث .

والقول بحوادث لها أول ينافى القول بحدوث العالم الذى عن طريقه أثبتوا [2] وجود الله تعالى , ولذلك قالوا بامتناع حوادث لا أول لها , وأوجبوا أن يكون للحوادث مبدأ وفروا من القول بتسلسل الحوادث , ونفوا أن يكون الله تعالى متصف بصفة الخلق قبل أن يخلق , وأداهم ذلك إلى نفى أفعال الله الاختيارية حيث رأوا أنها حوادث يجب تنزيه الله تعالى عنها , فهذا هو الذى دفعهم إلى عدم القول بتسلسل الحوادث أو امتناع لا أول لها .[3]

وهو قول الجهمية والمعتزلة والكرامية والأشعرية والماتريدية , والثالث : إمكانة فى الماضى والمستقبل وهو قول أئمة الحديث والسنة , وكذا هو قول أئمة الفلاسفة , انظر :هذه الأقوال فى منهاج السنة لابن تيمية: (1 / 122) مصدر سابق

1. الرازى : أصول الدين , ص 60 مصدر سابق
2. سبق الحديث :عن إثبات حدوث العالم عند الإمام الجوينى وهو من أقوى أدلته فى إثبات وجود الله , راجع الفصل الأول (إثبات وجود الله عند الأشاعرة)
3. عضد الدين الإيجى : المواقف فى علم الكلام , مكتبة المتنبى , القاهرة , بدون رقم الطبعة والتاريخ , ص 90 , والأربعين فى أصول الدين للرازى : ص 23 مصدر سابق , ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية : (5/ 447) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أما عند السلف فالأمر مختلف تماماً , فالصفات الفعلية والخبرية من النقاط التى فيها خلاف واسع وعميق بين السلف والأشاعرة , وقد بين الإمام ابن القيم أن هذه الصفات (أى صفات الأفعال) صفات كمال لله تعالى فهى ثابتة بالنقل , كما هى ثابتة بالعقل , واستدل بطائفة من النقول فمن ذلك .[1]

قال تعالى [﴿] [2] فهو سبحانه وتعالى إنما كلمه ذلك الوقت , وقوله تعالى [﴿] ومجادلتها [3] للنبى ρ كانت فى وقت معروف وقال تعالى [﴿] [4] وهم الذين غضب الله عليهم بعدما أوجدهم وقام بهم سبب الغضب .

وقال تعالى [﴿] [5] فمحبته للعبد إنما تكون بعد متابعة الرسول ρ .

وقوله ρ :" لله اشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل فى أرض دويَّه مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه , فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش , ثم قال أرجع إلى المكان الذى كنت فيه فأنام حتى أموت , فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه , فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته " [6] . والفرح المذكور إنما يكون بعد التوبة من الذنب , فالتوبة والذنب

1 . ابن القيم : الصواعق المرسلة , (4 / 1324 – 1325) مصدر سابق
2 . سورة الأعراف : آية 143
3 . سورة المجادلة : آية 1
4 . سورة الفاتحة : آية 7
5 . سورة آل عمران : آية 31
6 . أخرجه مسلم : فى التوبة باب , فى الحض على التوبة والفرح بها , حديث رقم: (2744) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

لازمان لهذا الفرح , ولا يوجُد الملزوم بدون لازمه . إلى غير ذلك من أدلة النقل التى ثبت صفات الأفعال لله تعالى .

وأما استدلال ابن القيم بالعقل لإثبات الصفات الفعلية فكثيرة فمن ذلك :

١. استدل ابن القيم بقاعدة المثل الأعلى , وهى أن ما ثبت لأى ذات من صفات الكمال, وأمكن للخالق أن يتصف بها فالخالق أولى بها وأحرى , وقد قرر بعض الصفات الفعلية واستفاد من هذه القاعدة فى الاستدلال عليها فقال : ومما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال إذ فى العقول أنّا إذا فرضنا ذاتين أحدهما لا تحب شيئاً ولا تبغضه , ولا ترضاه ولا تفرح به , ولا تبغض شيئاً ولا تغضب منه , ولا تكرهه ولا تمقته , والذات الأخرى تحب كل جميل فى الأقوال والأفعال والأخلاق والشيم وتفرح به وترضى به , وتبغض كل قبيح وتكرهه وتمقته وتمقت أهله وتصبر على الأذى ولا تجزع منه ولا تتضرر به , كانت هذه الذات أكمل من تلك الموصوفة بصفات العدم والموت والجهل الفاقدة للحس, فإن هذه الصفات لا تسلب إلا عن الموات أو عمن فقد حسه أو بلغ النهاية فى الضعف والعجز والجهل .[1]

٢. واستدل ابن القيم فى إثبات الصفات الفعلية بلوازم صفة الحياة فإن صفة الحياة متفق عليها , ومن لازم الحياة الصفات الفعلية فقال : إن الحب والبغض من لوازم الحياة فلا يكون حى إلا محب ومبغض , كما لا يكون حى إلا وله علم وإرادة وفعل , بل حب الله سبحانه لما يحبه , وبغضه لما يبغضه , وإرادته لما يريده , وكراهيته لما يكرهه , اكمل الحب والبغض والإرادة والكراهية ولا يتخلف عنها صفة إلا لضعف الحياة , فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها كل كمال يضاد نفى كمال الحياة [2].

٣. واستدل ابن القيم فى إثبات الصفات الفعلية بما هو مسلم به عند الطوائف من تنزه الله سبحانه عن النقص , فإنه يلزم من نفى الصفات الفعلية وصف الله تعالى

---

1 . ابن القيم : الصواعق المراسلة , (1451/4) مصدر سابق

2 . ابن القيم : بدائع الفوائد , (1 /333) , والصواعق المراسلة , (4 / 1447)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

بالنقص فقال : إذا كان الله سبحانه – تعالى الله عما يقول الجاهلون – لا يفرح ولا يرضى بمدحه وحمده والثناء عليه , ولا يغضب ولا يسخط ولا يبغض شتمه وما قاله فيه أعداؤه , بل نسبة " الأمرين إلى ذاته وصفاته بنسبة " واحدة , إذ لو حصل فيه سبحانه فرح ورضى ومحبة من ذلك , وغضب وسخط وكراهية من هذا , كان لا فرق عنده بين الحسن والقبيح والمدح والذم , وهذا غاية النقص والعيب شرعاً وعقلاً وفطرة وعادة وإذا كانت هذه صفات كمال , فلا يجوز سلبها عمن هو أحق بالكمال المطلق من كل أحد بمجرد تسميتها كيفيات نفسية أو أعراضا وانفعالات ونحو ذلك [1] ويقول الإمام ابن تيمية " معلوم بالسمع اتصاف الله تعالى بالأفعال الاختيارية القائمة به كالاستواء إلى السماء والاستواء على العرش , والقبض والطى والإتيان والمجيء ونحو ذلك , بل والخلق والإحياء والإماتة , فإن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة كالاستواء وبالأفعال المتعدية كالخلق والفعل المتعدى مستلزم للفعل اللازم , فإن الفعل لابد له من فاعل سواء كان متعدياً إلى مفعول أو لم يكن , والفاعل لابد له من فعل سواء كان فعله مقتصراً عليه أم متعدياً إلى غيره, لا يتعدى حتى يقوم بفاعله , إذا كان لابد له من الفاعل , وهذا معلوم سمعاً وعقلاً [2] .. ويقول فى موضع آخر " إن إثبات خلق السماوات والأرض إنما يتم بما جاء به الشرع ولا يمكن إثباته بحدوث العالم على أصل نفاه الأفعال الذين يزعمون أن العقل قد دل على نفيها , ويقدمون هذا الذى هو عندهم دليل عقلى على ما جاء به الكتاب والسنة والعقل عند التحقيق يبطل هذا القول ويوافق الشرع , فإنه إذا تبين أن القول بنفيها يمتنع معه القول بحدوث شئ من الحوداث ... فالعقل كما يقول ابن تيمية قد دل على صحة ما جاء به الشرع فى ذلك والله سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائض , وكل كمال وصف به المخلوق , ومن غير استلزامه لنقص , فالخالق أحق به , وكل نقص نزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه

1 . ابن القيم : الصواعق المراسلة , (1498/4 – 1500)

2 . ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل , (1 / 241) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والعقل صفة الكمال لا صفة نقص [1] كالكلام والقدرة , وعدم الفعل نقص كعدم الكلام وعدم القدرة , فدل العقل على صحة ما دل عليه الشرع وهو المطلوب.

وكان الناس قبل أبى محمد بن كلاب صفين , فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التى يشاؤها ويقدر عليها , والجهمية والمعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا , فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به , ونفى أن يقوم ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها .

وأما مسالة قيام الأفعال الاختيارية به : فإن ابن كلاب والأشعرى وغيرهما ينفونها وعلى ذلك بنوا قولهم فى مسألة القرآن , وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم فى هذا الباب بما هو معروف فى كتب أهل العلم ونسبوهم إلى البدعة وبقايا بعض الاعتزال منهم , وشاع النزاع فى ذلك بين عامة المنتسبين إلى السنة أصحاب أحمد وغيرهم , وقد ذكر أبو بكر عبد العزيز فى كتاب الشافعى عن أصحاب أحمد معنى أن القرآن غير مخلوق قولين مبنيين على هذا الأصل:

١. أنه قديم لا يتعلق بمشيئته وقدرته

٢. أنه لم يزل متكلماً إذ شاء [2]

مما سبق تبين مدى ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة وخصوصاً فى مسائل الاعتقاد , وأن هذا هو المنهج السائد عند أهل السنة والجماعة , فلم يكن العقل مصدراً فى تلك المسائل .

ولذلك أبطل الإمام ابن القيم – كما سبق – قانون المتكلمين فى تقديمهم للعقل على النقل عند وجود التعارض بينهما , وأن هذا طاغوتاً – كما سماه – يجب كسره , ولابد من تقديم النص الشرعى على المعقول .

1 . ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل , (1 / 241 – 242)

2 . المصدر السابق : (1 / 249)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولكن هل كان الإمام ابن القيم – مع ذلك – يستخدم العقل دليلاً لإثبات المسائل الاعتقادية , وهل يعتبر الاستدلال بالعقل منهجاً سلكه ابن القيم فى استدلاله على العقائد مع أنه يعارض قانون المتكلمين السابق ؟

والواقع أن ابن القيم استخدم العقل دليلاً لإثبات المسائل الاعتقادية , وكان هذا منهجاً سلكه فى منهجه العام فى الاستدلال , أم معارضة المتكلمين فى قانونهم فهو مبنى على الوقوف ضد الخصم فى وجود تعارض بين العقل والنقل , وأنه إذا وجد تعارض بينهما فلا يجوز تقديم العقل بل لابد من تقديم النقل , وإلا فالواقع كما قرره ابن القيم أنه لا يوجد تعارض البته بين دليل نقلى صحيح ودليل عقلى صريح .

ومن الأسباب التى جعلت الإمام ابن القيم يستدل بالعقل اعتباره أن العقل حجة , فإن الله سبحانه وتعالى أمام الحجة على عبادة بما أنزل عليهم من الآيات والبينات , وجعل شرط قيام الحجة وجود العقل ويقظته , حتى يتمكن من الاستدلال والاستنباط , وأثار العقل بما احتوى العالم عليه من آيات الله الدالة على وحدانيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فقال تعالى [❼⌘× ✍◆☪✉☜◷♦③✁◆⬈ ⬄⚐⌘♑③⌘❸⬉ॐ⍓♋ ⬀☠✎☘⬁❍→▦☼❒🕮 ☑❼⌘×◆❒ ☞✍✍♦▫☜⍓✍✁ ←❍❋☼❒🕮 ⬀☠←♑♦♐ ♦×☐✓♦⌨☐☺♦③ 🗐✎✸☹⍓❍ ☞✁⬁▤♦③ ⬀☠♦♐◆❒❒🕮 ▤ ❻✉◘♦⬂💻✍✁ ✐♏✍⬈✍ 🗐❼■✍♦⬉ ◷←❍❋☼❒🕮 ⍓⌨⌘■✉♦❷⌘✉ ★☒⬄✎⬈🕮 ✸⍓☘✎⓿⑨➘] (1)

قال ابن القيم : العقل حجة من حجج الله على خلقه , فهو سبحانه أقام عليهم حجته بما ركب فيهم من العقل , وبما أنزل عليهم من السمع (2)

ويمكن رصد منهج ابن القيم فى الاستدلال بالعقل بما يلى :

١. استعماله لقياس الأولى فى إثبات الصفات الكاملة لله تعالى ونفى النقائص . وقياس الأولى كما وضحنا من قبل ,هو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال وجاز اتصاف الخالق به , فالخالق أولى ان يتصف به , وكل ما تنزه عنه

---

1 . سورة فصلت : آية 53

2 . ابن القيم : الصواعق المراسلة , (1187/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزه عنه اعتباراً لما بينهما من النسبة المقتضية لأولوية الخالق بالاتصاف بالكمال من المخلوق .

فالسمع والبصر على سبيل المثال من صفات الكمال فى المخلوق , فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر .

فإذا اتصف بهما المخلوق وعدت من صفات الكمال له , وجاز أن يتصف بهما الخالق فالخالق أولى بالاتصاف بهما من المخلوق , وهكذا بقية الصفات , وقياس الأولى هذا استخدمه بعض المتكلمين. [1]

وقياس الأولى هو الصحيح فى إثبات صفات الكمال لله تعالى , وهو الذى استخدمه القرآن , ولا يصح أن يستعمل فى إثبات الصفات قياس التمثيل أو الشمول ولكن يستعمل فى حقه تعالى المثل الأعلى .

ولهذا جعل ابن القيم ذلك منهجاً له فى استدلاله بالعقل فقال :

الدليل العقلى دل على أنه سبحانه وتعالى أحق بكل صفة كمال من غيره , وأن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه , فمعطيه وموجده أحق به وأولى , فكيف يكون المخلوق يتكلم وخالقه لا يتكلم , وكيف يكون سميعاً بصيراً , وخالقه لا يسمع ولا يبصر , وكيف يكون حياً عليماً قديراً حكيماً , وخالقه ليس كذلك , وكيف يكون ملكاً آمراً ناهياً مرسلاً مثيباً , وخالقة ليس كذلك , وكيف يكون فاعلاً باختياره ومشيئته , وخالقه ليس كذلك وهكذا فى سائر الصفات [2]

وهذا الدليل الذى استعمله ابن القيم يعتبر من اشهر الأدلة العقلية عند أهل السنة والجماعة , ولذلك كان من أبرز خصائص منهج ابن القيم فى الاستلال بالعقل .

٢. استخدام ابن القيم أدلة المتكلمين العقلية التى يثبتون بها بعض الصفات لإثبات بقية الصفات .

---

1 . انظر : كلام الجوينى : فى العقيدة النظامية , ص 31

2 . ابن القيم : الصواعق المراسلة , (3 / 1018 – 1019) بتصرف وتلخيص

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المتكلون من الأشعرية وغيرهم ممن يثبت لله سبحانه وتعالى بعض الصفات دون بعض ويزعمون أن ما أثبتوه قد دل العقل على إثباته , وأن ما نفوه فقد دل العقل على نفيه لاستلزمه التشبيه والتجسيم , وقد سلك الإمام ابن القيم فى منهجه فى الاستدلال بالعقل أدلة المتكلمين العقلية فيما أثبتوه من صفات , بحيث أثبت أن دلالة العقل على ما أثبتوه كدلالته على ما نفوه بل قد يكون أوضح فقال :" الدليل العقلى الذى دل على ثبوت الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر, دل نظيرة على ثبوت الحكمة والرحمة والرضا والغضب والفرح والضحك , والذى دل على أنه فاعل بمشيئته واختياره, دل على قيام أفعاله به , وذلك عين الكمال المقدس " [1]

وهذا المنهج العقلى فى الاستدلال مهم , حيث يمكن للمستدل أن يثبت القضايا العقدية ويصعب على المعارض نفى ما أثبته الأول , لأنه استخدم نفس المنهج , ونفس الدليل الذى استخدمه المعارض .

٣. ومن منهج ابن القيم فى الاستدلال بالعقل أنه لا يقبل من الأدلة العقلية إلا الدليل الموافق للنقل , لأن من منهجه – كما قدمنا – أنه لا تعارض بين نقل وعقل , وعلى هذا فلا يستخدم من الأدلة العقلية إلا ما شهد النص بصحته , يقول حول هذا المنهج : فمعقول تشهد له النصوص أولى بالصحة والقبول من معقول تدفعه النصوص , فنحن ندفع معقولاتهم بهذه المعقولات تارة – أى التى تشهد لها النصوص – وبالنصوص تارة , وبهما تارة أخرى [2]

٤. ومن منهج الإمام ابن القيم فى الاستدلال بالعقل أنه لا يرتضى من الأدلة العقلية إلا القطعى منها , وهذا هو المعتبر وخصوصاً عندما يقارن بالدليل النقلى , فلا يمكن الاعتماد على الدليل العقلى إلا إذا كان قطعياً .

يقول الإمام ابن القيم: وإن كان أحدهما– أى الدليلين– قطعياً, والآخر ظنياً تعين تقديم القطعى سواء كان عقلياً أو سمعياً [3] .

---

1 . الصواعق المرسلة : (1 / 293) , (1508/4)

2 . المصدر السابق : (1138/3)

3 . الصواعق المرسلة : (797/3)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقول أيضا:فالقطعى هو المقدم مطلقاً,فإن قدَّر أن العقلى هو القطعى كان تقديمه. [1]

وبهذا استطاع ابن القيم فى منهجه الفريد المتوسط فى استخدام العقل دليلاً على مسائل الاعتقاد , فلم يغالى فيه مغالاة المتكلمين , ولم يهمله إهمال المتصوفة , بل كانت له أصول وضوابط , ومنهج متميز فى استعماله لدليل العقل .

ومن خلال ما سبق عرضه يتضح لنا ما يلى :

١. عدم إثبات الأشاعرة لقدرة حادثة توجد الموجودات , والذى دفعهم لذلك هو فرارهم من إثبات قيام الحوادث به جل وعلا , لأنهم يقولون : ما لم يخل عن الحوادث فهو حادث , فدفعهم ذلك إلى إنكار أفعال الله الاختيارية بذاته جل وعلا , فلم يثبتوا إلا صفة قدرة قديمة فقط لها تعلقات .

٢. بإثبات الأشاعرة لصفة القدرة وأنها قديمة أزلية فقط أداهم ذلك إلى الخلط بين صفة القدرة وصفة الخلق , فجعلوا الخلق هو المخلوق , والفعل هو المفعول, وكل هذا حتى لا يثبتوا أفعالاً اختيارية حادثة للرب جل وعلا لأن من أصولهم: أن من قامت به الحوادث فهو حادث .

وفى هذه النقطة خصوصاً ألا وهى قولهم : إن صفة الخلق هى عين صفة القدرة لا فرق , وهنا يوجد خلاف حقيقى واضح بينهم وبين السلف حيث أن السلف يثبتون لله عز وجل صفة الخلق والتكوين , وكذلك صفة القدرة بل وكل الصفات الاختيارية صفات الأفعال كما بينا من قبل فى أقوال ابن تيمية وابن القيم .

٣. لا شك أن جمهور الأشاعرة ومعهم الإمام الجوينى فيما ذهبوا إليه قد عطلوا صفات الأفعال لله عز وجل , وعطلوا أن يتصف الله بالخالق قبل أن يخلق , ولم يتصف بصفة الرزق قبل أن يرزق ولا بصفة الإحياء والإماتة إلا بعد أن يحيى ويميت وغيرها من الصفات .

٤. أما السلف فقد رفضوا هذه الأقوال تماماً واثبت الإمام ابن القيم صفات الأفعال لله عز وجل وقال : إنها صفات كمال لله وأثبتها بالنقل , وساق فى ذلك الكثير من

1 . المصدر السابق : نفس الصفحات

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

النصوص وأثبتها كذلك بالعقل , وقدم على ذلك أكثر من استدلال وضح فيه حجية العقل على إثبات هذه الصفات لله سبحانه وتعالى .

٥. أبطل ابن القيم قانون المتكلمين فى تقديمهم العقل على النقل عند وجود تعارض بينهما , وأن هذا طاغوتاً يجب كسره وتحطيمه ولابد من تقديم النص الشرعى على العقل .

٦. تبين من عرض آراء ابن القيم أنه وضع منهجاً ونسقاً عقلياً واضح المعالم لإثبات المسائل الاعتقادية , وكان هذا منهجاً سلكه فى الاستدلال العام , وبينا أن من الأسباب التى جعلته يستخدم المنهج العقلى , أن الله سبحانه وتعالى أقام الحجة على عبادة بما أنزل عليهم من الآيات البينات , وجعل شرط قيام الحجة وجود العقل السليم اليقظ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

رابعا : الصفات الخبرية

من خلال النظر فى كتب الأشاعرة وأقوالهم فى الصفات عموماً , وفى الصفات الخبرية خصوصاً , نجد أنهم ما بين مثبت وما بين مفوض أو مؤول , فمنهم من يثبت ثم تجده فى مكان آخر يؤول , ومنهم من يؤول , وفى كتاب آخر يفوض ومنهم من يثبت فى بعض الصفات والبعض الأخر يؤول .

ومن ثم فالأشاعرة فى الصفات الخبرية انقسموا إلى ثلاثة أقسام :

الأول : من قال بالإثبات فى بعض الصفات الخبرية.

الثانى : من قال بالتأويل .

الثالث : من قال بالتفويض .

مع ملاحظة أن البعض منهم يكون له أكثر من قول ويدخل فى أكثر من قسم كما أسلفنا , ويتضح ذلك من خلال عرضنا لأقوالهم .

القسم الأول : من قال من الأشاعرة بالإثبات لبعض الصفات الخبرية

ذهب المتقدمون من الأشاعرة إلى إثبات بعض الصفات الخبرية الواردة فى القرآن الكريم , وأما ما لم يرد إلا فى الحديث فأكثر الأشاعرة لا يثبتونها , وهم يترددون بين التأويل والتفويض فى معناها .

وسوف نبين ذلك من خلال النظر فى فكر أئمة الأشاعرة , الذين أثبتوا بعض الصفات الخبرية مثل أبو بكر الباقلانى , وابن فورك , والبيهقى , وقبل ذلك كله مؤسس المذهب ومن ينتسب إليه الأشاعرة , إمام الأشاعرة , أبو الحسن الأشعرى .

فبالنظر فى كتبه مثل " مقالات الإسلامين ", " رسالة إلى أهل الثغر" , و " الإبانة " نجد أن أبا الحسن الأشعرى قد عقد باباً وضح فيه إثبات الوجه والعينين والبصر واليدين والاستواء على العرش والنزول والمجيء إلى غير ذلك فقال فى معرض حديثه عن مذهبه .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

" فمن سألنا فقال : أتقولون إن لله سبحانه وجهاً ؟

قيل :" نقول ذلك خلافاً لما قاله المتبدعون , وقد دل على ذلك قوله تعالى [❐➔❶ ⍓⌨✆■✍◆❻ ←❍⇳♉◆❐ 🗐❼⬧⍞⬀⌨♦③◆❐ ✍✂♦❷⍁✍💣❝✍✂◆❐ ✈✍🕓■🖬❐♈⍁💻✍✂] [1] , فإن سئلنا أتقولون إن الله يدين ؟ قيل نقول ذلك, وقد دل عليه قوله عز وجل [③♦⑨← ✂✍★ ⬧🖻⬀❑⬧▫ 🕮❐③⬐⑨☙⑨⬐③❐🕮 ⬀☠&⑨☙⑨⬐③❐🕮 🗐] [2] وقوله عز وجل [✍⍓☺✆⍟ ⍓⌘🖬■⍓⍓⑨◆❶✆✍ →💣⍁◑■🖬⍓⑨◆❶✆✍ ☎ ❶❽⍓⑨◆❶✆✍] [3] إلى آخر كلامه رحمه الله [4]

كما أثبت الأشعرى صفة الاستواء على العرش مع العلو فقال : إن قال قائل : ما تقولون فى الاستواء .

قيل له : نقول إن الله عز وجل يستوى على عرشه كما قال فى كتابه العزيز [↳🕑⬀❷⍓➔⍁⍟✍✂ ❼■✍♦↖ ←Ⅱ🕓☐⍞⬐❑▪❷⍟✍✂ ✆❍⍁❶⬧⍟✆✍✂] [5] وقال تعالى [③♦❹❑♦☝⇔ᘓ✍✂ ➲🖬ᘐ〰❶⍋➲⍟✍✂ ←⑨⍓➔⇔🕑♦③ ❶⚐✆🖬⬧▤⍁⍟✍✂] [6] وقال تعالى [✍♦✍ ❻▪⬧➔❍⍓← ✦✍✂ ✆❍⍁❶⬧⍟✆✍ 🗐] [7] إلى آخر كلامه رحمه الله وهو يبين مذهبة .

كما أثبت الأشعرى : صفة الإتيان والمجيء والنزول , إلا أنه وقع فى نوع من التفويض كما سنوضح ذلك فيما بعد .

---

1 . سورة الرحمن , آية 27

2 . سورة الفتح : آية 10

3 . سورة ص : آية 75

4 . أبو الحسن الأشعرى : كتاب الإبانة عن أصول الديانة , باب فى إبانة قول أهل الحق والسنة , ص 9

5 . سورة طه : آية 5

6 . سورة فاطر : آية 10

7 . سورة النساء : آية 158

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كما أثبت الأشعرى , صفة الرضى والغضب لله عز وجل , فهذا مجمل أقوال أبى الحسن الأشعرى فى الصفات الخبرية وقد وضح إثباته لها. [1]

ومن متقدمى أئمة الأشاعرة الذين ذهبوا إلى إثبات بعض الصفات الخبرية الواردة فى القرآن الكريم أبو بكر الباقلانى , حيث أثبت لله تعالى صفة الوجه واليدين والعينين ورد على أصحابه من الأشاعرة المتأخرين الذين تأولوا اليدين بالنعمة أو القوة .

فقال فى إثباته لهاتين الصفتين :" باب فى أن لله وجهاً ويدين , فإن قال قائل فما الحجة فى أن لله عز وجل وجهاً ويدين ؟ [2]

قيل له : قوله تعالى : لله [❐◆③♦🖮⇗🖳❼♦❐ ←❍⇳♉◆❐ ❐➔❶ ⍰🖮■🖃◆❻ ✂💻⍥🕛■🖬❐♍⍰✍] [3] وقوله تعالى [✂❐◆❷♦✈♉ ❝✂⍥♦✍ ⍰❐🕮 ⍰⑨➔↗⇔❍■✍ ⍰🖮⍰➔◆☪♦✍ ⌘⍰■🖬❍⑨◆❶♉🖃➔ ☎ ❶❽⍰⑨◆❶♉🖃➔] [4] فأثبت لنفسه وجهاً ويدين

ثم أخذ بعد ذلك يرد على من تأول صفة اليد بالنعمة أو القوة .

فقال فى الإنصاف فيما يجب على المكلفين اعتقاده , وذكر من ذلك , أن الله عز وجل ذو الوجه الباقى بعد أن تنقضى الماضيات , كما قال عز وجل [❻✍↗🖃 ★⍰⇔☮↗⍰♎⍰⑩🖮◆❐ ←❍⇳♉⍰❍🕛] [5] , وقال [❐◆③♦🖮⇗🖳❼♦❐ ←❍⇳♉◆❐ ❻◆■🖃⍰🖮⍰ ❐➔❶ ✂💻⍥🕛■🖬❐♍⍰✍ ❝✂⍥♦✍ ⍰❐🕮 ⍰⑨♦③ ⇗✍♦🖃 ■✂⍰⑨♦③] , واليدين اللتين نطق بإثباتهما له القرآن , فى قوله عز وجل [

---

1 . الأشعرى : الإبانة , باب ذكر الاستواء على العرش , ص 36 , مصدر سابق , وانظر: رسالة إلى أهل الثغر , للأشعرى : ص269 مصدر سابق .

2. الإمام أبو بكر الباقلانى : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة , ص 1269

2 . سورة الرحمن : آية 27

3 . سورة الرحمن : آية 27

4 . سورة ص : آية 75

5 . القصص : آية 88

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقوله تعالى [ ] [1]

, وهما ليست بجارحتين , ولا ذوى صورة وهيئة , والعينين اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن الكريم وتواترت بذلك أخبار الرسول ρ , فقال عز وجل [ ] [2]

و[ ] [3] وأن عينه ليست بحاسة من الحواس , ولا تشبه الجوارح والأجناس .[4]

فها هو علم من أعلام الأشاعرة يثبت بعض الصفات الخبرية الواردة فى القرآن ومع ذلك لم يتبعه الأشاعرة المتأخرون فى هذا الإثبات .

ويلاحظ على الباقلانى عدم وضوح المنهج فنجد أنه يثبت لله عز وجل صفة الوجه واليدين والعينين لأنه ثبت فى القرآن , مع ذلك نجد فى موضع آخر يتأول صفات أخرى لله عز وجل ثبتت فى القرآن مثل صفة الرضا والغضب والرحمن والسخط والحب والبغض والعدوان والموالاة , فإنه ذهب إلى تأويل كل هذه الصفات وهنا وقع فى التناقض , والباقلانى فى إثباته السابق يعتبر أكثر إثباتاً من غيره .

فقد قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – أنه : أكثر إثباتاً بعد الأشعرى فى الإبانة .[5]

وذهب ابن فورك [6] (ت406 هـ) من الأشاعرة إلى إثبات صفة الوجه لله تعالى حيث قال عن هذه الصفة : وذلك من الصفات التى لا سبيل إلى إثباتها إلا من جهة , النقل ,

---

1 . المائدة : آية 64

2 . سورة طه : آية 39

3. سورة القمر : آية 14

4. الإمام أبو بكر الباقلانى : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به : تحقيق : محمد زاهد الكوثرى , المكتبة الأزهرية للتراث , القاهرة , 1413 هـ – 1993 م , ص35 –36

5. شيخ الإسلام ابن تيمية : مجموع الفتاوى , (5 / 52) مصدر سابق

6. محمد بن الحسن بن فورك : أبو بكر الأنصارى الأصبهانى, ورعاً مهيباً اشتغل بعلم الكلام حتى برز فيه فأصبح إماماً , يقول الذهبى: شيخ المتكلمين, وكان اشتغاله بعلم الكلام على مذهب الأشعرى, توفى سنة 406 هـ, دفن فى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وذهب أصحابنا إلى أن الله عز وجل ذو وجه , وأن الوجه صفة من الصفات القائمة به , والمقصود بالوجه إثبات وجه بخلاف معقول الشاهد , كما أن إثبات من أضيف إليه الوجه إثبات موجود بخلاف معقول الشاهد " [1]

وممن قال بإثبات بعض الصفات الخبرية من الأشاعرة , أبو بكر البيهقى (ت 458هـ) حيث أثبت من الصفات الخبرية : صفة الوجه والعين واليدين فقط وأول ما سواها كما سنوضح ذلك لاحقاً .

فقد عقد باباً فى إثبات الوجه حيث قال :" باب ما جاء فى إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة لورود الخبر الصادق به" ثم ساق بعد ذلك الآيات والأحاديث المثبتة لذلك, ثم صنع نفس الشئ فى إثباته لصفة العين وصفة اليدين كل ذلك كان يقول فيه " باب فى إثبات...ثم يذكر الصفة, ويسوق بعدها الآيات والأحاديث المثبتة لتلك الصفة[2] هذا فممن ذهب إلى إثبات بعض الصفات الخبرية من الأشاعرة ويلاحظ على جميعهم عدم السير على جادة واحدة فى الصفات الخبرية , فالأدلة التى أثبتوا فيها صفة مثل النزول والاستواء على العرش والإتيان والمجيء والرضا والغضب وغير ذلك .

القسم الثانى : من ذهب إلى تأويل الصفات الخبرية من الأشاعرة

لا يكاد يسلم أحد من رجال الأشاعرة من الوقوع فى التأويل , بل أستطيع أن أقول كلهم وقعوا فى التأويل إما لبعض الصفات الخبرية , أو لجميع الصفات الخبرية أما الذين

---

4) الحيرة , انظر: ترجمته فى سير أعلام النبلاء للذهبى : (48/11) مصدر سابق , طبقات الشافعية للسبكى : (127/) مصدر سابق , وفيات الأعيان لابن خلكان : (1 / 482) مصدر سابق .

1 . محمد بن الحسن بن فورك : مشكل الحديث , بدون رقم وتاريخ , ص 131.

2. أبو بكر البيهقى : الأسماء والصفات , تحقيق: محمد زاهد الكوثرى : دار إحياء التراث العربى , بيروت , 1400 هـ – 1980م , ص 301 , 312 , 314 , وأبو بكر البيهقى : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد , تحقيق :أحمد الكاتب :دار الآفاق الجديدة , بيروت , الطبعة: الأولى , 1981 م , ص 35 – 36 , والبيهقى هو : أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله البيهقى ت 458 هـ : اشتهر بإتقان علوم الحديث , ولم يأل جهداً فى طلبه حتى أنه يروى أنه رحل إلى العراق والحجاز لتحصيل كل ما قيل فيه , وهو أول من جمع نصوص الشافعى فى مجلدات ومن مصنفاته السنن الكبير , والسنن الصغير ودلائل النبوة وغيرها وكان من الذين سلكوا طريق السلف, للمزيد راجع : السبكى : طبقات الشافعية , (220/3), والذهبى : سير أعلام النبلاء , (159/11) مصدر سابق .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقعوا فى تاويل بعض الصفات الخبرية , فهم أصحاب القسم الأول : الذين أثبتوا بعض الصفات الخبرية وأولوا البقية منهم الباقلانى وابن فورك والبيهقى .

ولأن كل الأشاعرة وقعوا فى التأويل , فلا نستطيع أن نأتى على ذكرهم جميعاً واحداً واحداً كما أنه ليس هذا مقصودنا , لذا سوف نأتى على ذكر البعض من رجالات الأشاعرة ممن قالوا بالتأويل سواء من المتقدمين أو المتأخرين .

ولكن الأنسب أن يقال : إن المتقدمين من الأشاعرة يثبتون بعض الصفات الخبرية الذاتية الواردة فى القرآن الكريم , الوجه واليدين والعين . أما المتأخرين فلا يثبتون شيئاً من ذلك .

أما الصفات الفعلية فكل الأشاعرة من متقدمين ومتأخرين لا يقول بإثباتها بل الجميع يؤولونها عن معناها الحقيقى إلى معانى أخرى .

والملاحظ على الإمام الباقلانى إثباته لبعض الصفات الخبرية الذاتية لله تعالى كصفة الوجه واليدين , وتأويله للصفات الخبرية الفعلية لله تعالى مثل الرضى والغضب والحب والبغض , والنزول والمجيء والإيتان إلى غير ذلك .

وكذا فعل البيهقى فى بقية الصفات الخبرية التى لم يثبتها وفيها صفة اليمين والكف

لله تعالى – قال تعالى [﴿ ﴾] [1]

وقول الرسول ρ من حديث أبى هريرة " يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة , ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض " [2]

1. سورة الزمر : آية 67

2. الإمام البخارى :صحيح البخارى ,كتاب التوحيد (367/13),وصحيح مسلم:فى صفات المنافقين ,حديث رقم (2787).

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفى الحديث الآخر عن أبى هريرة τ قال : قال رسول الله ρ : " ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه , وإن كانت ثمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل , كما يرى أحدكم فلوه أو فصيل " [1] – قال البيهقى فى معنى هاتين الصيغتين أن معنى اليمين فى الآية والحديث هو " القوة والقدرة – وصفة الكف لله تعالى تعنى ملكه وسلطانه .

وقال أيضا " واليمين المذكورة فى الأخبار التى ذكرناها محمول فى بعضها على القوة والقدرة ... وفى بعضها على حسن القبول " [2]

ويقول فى الكف بالنسبة لله تبارك وتعالى , إن المراد به ملكه وسلطانه , وإما أن يكون معنى النعمة " [3]

ونتحدث الآن عن علم من أعلام الأشاعرة ألا وهو إمام الحرمين , وهو كما بينا من قبل يعتبر من أئمة المذهب الأشعرى , حتى أنه قال : ما تكلمت فى علم الكلام كلمة حتى حفظت من كلام القاضى أبى بكر – يقصد الباقلانى – وحده أثنى عشر ألف ورقة " [4] ويقول عنه السبكى: "ولا يشك ذو خبرة أنه أعلم أهل الأرض بالكلام " [5] , ولا شك أن الجوينى ذو منزلة رفيعة عند الأشاعرة , بل يعد من رؤوسهم , فما هو قوله فى الصفات الخبرية , يعتبر الإمام الجوينى من أشهر من قال بتأويل الصفات الخبرية كلها سواء منها الذاتية كالوجه واليدين والعينين وغيرها أو الفعلية كالنزول والمجيء والرضى والغضب والسخط والرحمة – إلى غير ذلك من الصفات الفعلية فقد سبق أن وضحنا أن المتقدمين من الأشاعرة كالباقلانى وابن فورك والبيهقى كانوا يثبتون بعض الصفات الخبرية الذاتية , أما الإمام الجوينى فقد اعترف بنفسه انه خالف من سبقه , وذهب إلى تأويل الصفات الخبرية حتى الذاتية منها حيث قال " ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى , والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل ,

---

1 . الإمام مسلم : صحيح مسلم , كتاب الزكاة (702/2) , حديث رقم (1014)

2 . البيهقى : الأسماء والصفات , ص 331 – 332 مصدر سابق

3 . المصدر السابق : ص 332

4 . السبكى : طبقات الشافعية (5 /185)

5 . المرجع السابق : (170/5)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والذى يصح عندنا حمل اليدين على القدرة وحمل العينين على البصر وحمل الوجه على الوجود " وقد حمل الإمام الجوينى هذه الألفاظ على محمل التأويل وهو الأولى والأحق والأصح , لأن البارى جل وعز لا يتصف إلا بصفة تجب له فالقدرة واجبة لله جل وعز إذ بها توجد الموجودات وتحدث الحادثات , وكذلك الوجود واجب له جل وعز إذا لا تثبت الإلهية , إلا لمن ثبت له الوجود وكذلك البصر واجب لله تعالى لاستحالة ضده عليه , وأما التحكم بإثبات صفات لا تعلم إلا من طريق السمع ولا مجال للعقل فى إثباتها , فأمر بعيد لا وجه له . لأن الشرع جائز[1] , وما ترتب على الشرع فهو أيضا جائز وتطرق الجواز إلى صفات الله تعالى القائمة بذاته محال , لأن الجائز مفتقر إلى مخصص والقديم متنزه عن المخصص .

كما ذهب الإمام الجوينى أيضا إلى نفى صفة العلو لله وصفة الاستواء على العرش بحجج عقلية. [2]

وقد استخدم الإمام الجوينى الأدلة العقلية بطريقة مبالغ فيها , وهو يدلل على كلامه فى تأويل الصفات الخبرية , ففى تأويله لصفة العين وأنها تعنى الإحاطة بالحفظ والرعاية يقول " فأما الآية المشتملة على ذكر العين فى قوله تعالى فى الإنباء عن سفينة نوح [﴿ ﴾] [3] – لم يثبت أحد من المسلمين أعينا لله تعالى , فالمعنى بالآية أنها تجرى وهى منا بالمكان المحوط بالكلاءة والحفظ والرعاية , يقال : إن فلاناً مرأى من الملك ومسمع , إذا كان بحيث تحوطه عنايته وتكنفه رعايته , وقيل: المراد بالأعين فى هذه الآية الأعين التى انفجرت من الأرض . وأضيف إلى الله تعالى ملكاً. وهذا بعيد " قال أبو بكر بن ميمون لما كانت العين موضوعة على هيئة وصورة, وكان غايتها الإدراك بها , عبر عن الإدراك الذى هو الغاية بالصورة , حتى يعقله العاملون ويفهمه الثابتون فى العلم والراسخون , هذا إن حملنا الأعين على الإدراك الذى هو الغاية , وإن حملنا الأعين على المتفجرة من الأرض , وهى المذكورة فى قوله

1 . أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد للجوينى , ص 348 – 349 مصدر سابق

2 . الإمام الجوينى : الإرشاد ص , 58 –59 , ولمع الأدلة له: ص – 107 – 108 مصدر سابق

3 . سورة القمر : آية 14

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

تعالى [❐◆▫↗⊙❷✿☆♦◆ ✂ ❀☞❻⇗✿☆❑↖❶↖↖] [1] فالإشكال مرتفع منها .[2]

وأما صفة الوجه فقد حملها على معنى البقاء والوجود فقال " وأما قوله تعالى [❐◆③♦⇗✉⬧❼❐◆☿⇳❍➔ ❻◆■✉⇗⬧❐◆] فلا وجه لحمل الوجه على الصفة , إذ لا تختص بالبقاء بعد فناء الخلق صفة لله تعالى " بل هو الباقى بصفاته الباقية الواجبة , فالأظهر حمل الوجه على الوجود , وقيل المراد بالوجه الجهة التى يراد بها التقرب إلى الله تعالى . يقال فعلت ذلك لوجه الله , معناه لجهة امتثال أمر الله تعالى , فالمعنى بالآية : عن كل ما لم يرد به وجه الله تعالى محبط. [3]

أما فى تأويل الإستواء والعلو والمجيء فقد قال : الإمام الجوينى " ومن سلك من أصحابنا نحو إثبات الصفات بظواهر الآيات , ألزمه سوق كلامه أن يجعل الإستواء والمجيء والجنب من الصفات , تمسكاً بالظواهر , وإن ساغ تأويلها فيما يتفق عليه , لم يبعد أيضا طريق التأويل فيما ذكرناه " إن وقوع المتشابهات فى كتاب الله العزيز ابتلاء من الله جل وعز واختبار , ليعلى بمعرفتها درجات الراسخين فى العلم , وإن ذل فيها الجهلاء , ولا ننكر ذلك فقد قال تعالى [③↖⇘✎❻ ✉❍⊙↖ ❸⑨⇳♌♦③◆❐ ✂☪❸❷✞•🗎 ✉❍⊙↖] [4] ومما يدل على أن هذا ابتلاء واختبار : أن الآية الواردة فى تنزيه البارى جل وعز عن مماثلة سائر الموجودات وقع فيها المتشابه , وهو قوله تعالى [☎ ⊠↗⇦⑥⊠★ ⊙✞❍❍❒⇙⌖✞☺⊠✍ ❝▪⇘⑩♦☜] [5] لأن لو تركنا وظاهر هذه الآية , أدى ذلك إلى إثبات المثل لله . والله جل وعز متعال عن مماثلة الأشياء , فالعلماء علموا أن الكاف فى قوله تعالى [☜♦⑩⇘▪❝ ✍⊠☺✞⌖⇙❒❍❍⊙✞★ ⊠↗⇦⑥⊠ ☎] زائدة حتى يكون التقدير ليس

1 . سورة القمر : آية 12
2 . أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص 352 – 353
3 . أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص 352– 353
4 . سورة البقرة : آية 26
5 . سورة الشورى : آية 11

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

مثله شئ . وهو الغرض المقصود فإذا وردت هذه الظواهر المشكلة التى يظهر فيها بادئ بدء , التجسيم ومشابهة الأجسام , فحق على كل مسلم ألا يعتقد ما يدل على ذلك الظاهر , ثم تختلف بعد ذلك هل يحمل على تأويل أم يسلم علمها لله جل وعز ؟ [1]

وقد سلك الإمام الجوينى هذا المسلك العقلى فى صفات الأفعال والصفات الخبرية واعتبره شيخ الإسلام ابن تيمية أول من قال بتأويل الصفات الخبرية الذاتية والفعلية حيث قال " لم يذكر أحد عن الأشعرى فى ذلك (أى فى إثبات الصفات الخبرية كالوجه واليدين والاستواء) قولين أصلاً , بل جميع من يحكى المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله (أى الإثبات لها) ولكن لأتباعه فى ذلك قولان

وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالى الجوينى , فإنه نفى الصفات الخبرية [2] وقد سبق الجوينى فى نفى الصفات الخبرية وتأويلها البغدادى ت (429هـ) ومعلوم أن البغدادى متقدم على الجوينى .

فقد قال البغدادى فى تأويل صفة الوجه والعين : ما نصه " المسألة الثالثة عشر من هذه الأصول فى تأويل الوجه والعين من صفاته , ثم شرع فى الرد على من أثبتها , ثم قال : والصحيح عندنا أن وجهه ذاته , وعينه رؤيته للأشياء وقوله [❒◆③♦🖮⇗🖃♦❼🗐 ❒◆☿⇳❍🡐 ❻◆🖃■🛇🖮🖂] معناه ويبقى ربك ... ثم شرع بعد ذلك بتأويل صفة العين وحملها على الرؤية وصفة اليد وحملها على القدرة [3].

علماً أن هناك قول آخر للجوينى ضمنه كتابه : العقيدة النظامية ذهب منه إلى منع التأويل فى الصفات عموماً , وسلك فيه مسلك التفويض ظنا منه – أن التفويض فى معنى الصفات هو منهج السلف , ومن الذين نهجوا منهج الجوينى ومشى على دربه فى نفى الصفات الخبرية هو فخر الدين الرازى فيلسوف الأشعرية , الذى وقف مدافعاً عن

1 . أبو بكر بن ميمون : شرح الإرشاد , ص 354 – 355

2 . ابن تيمية : درء التعارض , (2 / 17 – 18) مصدر سابق

3 . البغدادى : أصول الدين , ص 109 – 110 –111 مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

المذهب الأشعرى بكل ما يملك من حجج عقلية وفلسفية ولسيطرة نزعة التأويل على فخر الدين الرازى فقد أفرد مؤلفاً مستقلاً فى ذلك أطلق عليه اسم "أساس التقديس "

والرازى , كسابقيه من الأشاعرة يرى تقديم العقل على النقل إذا وقع تعارض بينهما , كما أن الأدلة النقليه عنده سواء من الكتاب أو السنة لا تفيد اليقين فلا يستدل بهما على إثبات الصفات وغيرها , فهى عنده ظنية اليقين , بينما الأدلة العقلية عنده قطعية اليقين , وإذا حصل تعارض بينهما وجب تقديم الدليل العقلى , وتأويل الدليل النقلى السمعى .[1]

وأما تأويلاته للصفات الخبرية فمنها , تأويل صفة الوجه , أن الوجه كناية عن الذات , وصفه العين على شدة العناية والحراسة , وصفة اليد بمعنى القدرة أو النعمة وأن يمين الرحمن عبارة عن القوة والقدرة , وصفة المجيء والإتيان , بإثبات أمر الله أو إتيان آيات الله , وصفة النزول بنزول رحمته إلى الأرض , إلى غير ذلك من التأويلات التى تظهر تقديم العقل على النقل .[2]

القسم الثالث : حيث ذهب بعض الأشاعرة فى الصفات الخبرية إلى التفويض, اعتقادا منهم أن التفويض هى طريقة السلف من الصحابة وغيرهم .

والتفويض فى اصطلاح المتكلمين هو : صرف اللفظ عن ظاهرة المتبادر مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه بل يفوض أمر علمه إلى الله عز وجل بأن يقال (الله أعلم بمراده) [3] ومعنى كلامهم هذا أن الله جل جلاله خاطبنا فى أعظم القرآن الكريم ألا وهو أسماؤه وصفاته – خاطبنا بكلام لا يعرف وغير مفهوم , فكلمة (فوض) عندهم تعنى على المعنى المراد من ذلك النص تفصيلاً إليه تعالى , وتأويله إجمالاً كما هو طريق السلف [4] . ولذا قالوا : طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم [1] ويقصدون

---

1. الرازى : أصول الدين , ص 24 مصدر سابق
2. الرازى : أساس التقديس , تحقيق : احمد حجازى السقا : مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة , الطبعة: الأولى , 1406 هـ , 1986 م , ص84 –104 بتصرف وتلخيص
3. البيجورى : تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد , تحقيق: حسين مكى : محمد على صبيح : القاهرة , 1964م – ص 91
4. عبد السلام المالكى : إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد , طبع: مصطفى البابى الحلبى : مصر 1368 هـ , 1947 م ص 99

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بطريقة السلف التفويض فى معنى الصفات , وطريقة الخلف التأويل فى الصفات , ومن الأشاعرة الذين ذهبوا فى بعض الصفات إلى التفويض الإمام البيهقى , حيث كان مفوضاً فى صفة الاستواء , والنزول والمجيء وغيرها من الصفات الخبرية الفعلية .

فقد قال فى صفة الاستواء بعد أن ذكر الآيات والأحاديث المثبتة لهذه الصفة قال : فأما الاستواء , فالمتقدمون من أصحابنا رضى الله عنهم كانوا لا يفسرونه , ولا يتكلمون فيه , كنحو مذهبهم فى أمثال ذلك [2]

ثم أخذ يسرد بعد ذلك أقوالاً للسلف فهم منها أنهم يفوضون معانى الصفات , مما يدل على أنه يرى هذا الرأى .

ومما يزيد الأمر وضوحاً ما ذكره فى موضع آخر من كتابه الاعتقاد حيث قال :" ثم المذهب الصحيح فى جميع ذلك الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف , وإلى هذا ذهب المتقدمون من أصحابنا , ومن تبعهم من المتأخرين , وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب فى غير آيه ووردت به الأخبار الصحيحة , وقبوله من جهة التوقيف واجب , والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز .[3]

فالبيهقى يرى أن البحث عنه أى فى معناه مع ثبوته فى الكتاب والسنة, غير جائز, وأن ذلك يفوض علمه إلى الله وهذا هو التفويض بعينه .

وأما الجوينى فقد ذكرت فى القسم الثانى أنه ممن كان يرى التأويل فى جميع الصفات الخبرية , إلا أنه فى آخر حياته ترك التأويل , وسلك مسلك التفويض معتقداً أن هذا هو قول السلف ومعتقدهم .

فقد قال " قد اختلفت مسالك العلماء فى الظواهر التى وردت فى الكتاب والسنة , وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها , وإجراؤها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان

---

1. ابن حجر العسقلانى : فتح البارى شرح صحيح البخارى , قرأ أصله تصحيحاً وتعليقاً : الشيخ عبد العزيز بن باز :مكتبة الرياض الحديثة, الرياض,بدون رقم الطبعة وتاريخها, (13 /352) وتحفه المريد للبيجورى ص 91 .
2. البيهقى : الأسماء والصفات , ص 47 مصدر سابق
3. أبو بكر البيهقى : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد , تحقيق : أحمد الكاتب : دار الأوقاف الجديدة, بيروت, الطبعة: الأولى , 1401 هـ - 1981 هـ , ص 51

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

منها , فيرى بعضهم تأويلها والتزم هذا المنهج فى أى الكتاب , وما يصح من سنن الرسول ρ .

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل , وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى . والذى نرتضيه رأيا , وندين الله به عقلاً , اتباع سلف الأمة , فالأولى الاتباع , وترك الابتداع , والدليل السمعى القاطع فى ذلك , أن إجماع الأمة حجة متبعة , وهو مستند معظم الشريعة .

وقد درج صحب رسول الله ρ , ورضى الله عنهم : على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها , وهم صفوة الإسلام , والمستقلون بأعباء الشريعة .[1]

وكانوا لا يألون جهداً فى ضبط قواعد الملة , والتواصى بحفظها , وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها , فلو كان تأويل هذه الآى والظواهر مسوغاً ومحتوماً , لأوشك أن يكون اهتمامهم بما فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . وإذا انصرم عصرهم , وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك قاطع بأنه الوجه المتبع , فحق على ذى دين : أن يعتقده تنزه البارى عن صفات المحدثين , ولا يخوض فى تأويل المشكلات , ويكل معناها إلى الرب تبارك وتعالى " [2]

ومن ثم فالجوينى إذا كان قد ترك التأويل ونبذه إلا أنه كان معتقداً أن مذهب التفويض هو منهج السلف رحمهم الله تعالى .

وممن ذهب إلى التفويض أيضا إلى جانب التأويل الإمام الغزالى , حيث ذكر أن منهج السلف رحمهم الله تعالى هو التفويض .

حيث قال :" حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا أن من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور : التقديس , ثم التصديق، ثم الاعتراف بالعجز, ثم السكوت , ثم الإمساك , ثم الكف , ثم التسليم لأهل المعرفة , ثم شرع فى شرح وبيان هذه الأمور السبعة , وقال عند الأمر الرابع ألا وهو السكوت : فإنه

1 . الإمام الجوينى : العقيدة النظامية , ص 32 –33 مصدر سابق

2 . المصدر السابق : نفس الصفحة

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لا يسأل عن معناه , ولا يخوض فيه , ويعلم أن سؤاله عنه بدعة , لأنه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه , وخائض فيما ليس أهلا له – إلى آخر كلامه [1]

وهكذا فإن الغزالى يرى أن منهج السلف هو التفويض وعدم التعرض للمعنى بشئ من السؤال , وعلى عوام الخلق اتباع هذا المنهج على حد قوله .

وأما الخواص من الناس فإنه يرى لهم التأويل فى الصفات لأنهم فى مأمن من الزيغ وأقدر على توجيه النصوص. [2]

أما السلف فقد أثبتوا الصفات الخبرية , فنجد أن الإمام ابن القيم قد استدل بإجماع الأمة على إثبات هذه الصفات فقال " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز , إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك " [3]

وقال فى معرض رده على الأشاعرة : انعقد الإجماع قبلكم على إثبات سائر الصفات .

ولم يخصوها بسبع , بل تخصيصها بسبع خلاف قول السلف .[4]

وقال أيضا فى بيان بعض ما أجمعت عليه الأمة من مسائل الاعتقاد :" ومن له خبرة بمذاهب الناس , وأقوال السلف يعلم قطعاً أن الأمة أجمعت على القول به قبل ظهور المخالف – ويقصد بعض مسائل الاعتقاد – كما أجمعت بأن الله مستوٍ على عرشه فوق سماواته , وأن المؤمنين يرونه عياناً بالأبصار من فوقهم فى الجنة , وأنه سبحانه كلم نبيه موسى منه وإليه بلا واسطة تكليماً سمع به كلامه ولم يشك أنه هو الذى كان يكلمه وأنه كتب مقادير الخلائق وقدرها قبل أن يخلقهم , وأنه علم ما هم عاملوه قبل أن يعملوه , وأنه يحب ويبغض ويرضى ويغضب ويضحك ويفرح , وأن له وجهاً ويدين , فهذا إجماع

1 . الإمام الغزالى : إلجام العوام عن علم الكلام , ص 241 –248 بتصرف وتلخيص
2. الإمام الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد , ص 29 مصدر سابق
3. ابن القيم : الصواعق المرسلة , (1289/4), وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية 157 – 185
4. ابن القيم : الصواعق المرسلة , (226/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

معلوم متيقن عن جميع أهل السنة والحديث , فالعقل الذى يعارض هذا لم تجتمع عليه الأمة , ولم يعرف رجل واحد من السلف والأئمة أنه قاله" [1]

وقال أيضا: والعلماء متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وأن علمه بكل مكان , وأنه يُرى يوم القيامة بالأبصار فوق عرشه , وأنه ينزل إلى سماء الدنيا, وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء,فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم برئ وهم منه براء.[2]

وقال رحمه الله فى بيان أن أسماءه مشتقة منها صفات :" أجمع المسلمون أنه لو حلف بحياة الله أو سمعه , أو بصره , أو قوته , أو عزته , أو عظمته, انعقدت يمنيه , وكانت مكفرة , لأن هذه صفات كماله التى اشتقت منها أسماؤه " [3]

وفى التدليل على إثبات مسألة الاستواء نقل ابن القيم عن الحافظ ابو نعيم الأصبهانى (ت 430 هـ) [4] قوله :" طريقنا طريق المتبعين لكتاب الله ولسنة رسول الله ρ , وإجماع الأمة فيما اعتقدوه أن الأحاديث التى ثبتت عن رسول الله ρ فى العرش واستواء الله عليه تعالى يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل , وأن الله بائن من خلقه , والخلق بائنون منه , وليس هو حال فيهم , ولا ممتزج فيهم , وهو مستو على عرشه فى سمائه دون أرضه وخلقه " [5] وذكر عن إسحاق بن راهويه فى قوله تعالى [✂🙰🗪❷▪❑🖊🕓☐⌶←↖♦■❼ ✂🙰🗪◀❷🖂🖈🕑🖒✂🙰🗪❑♦❑◆❽▤] [6] قال : إجماع أهل السنة أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شئ أسفل الأرض السابعة , وفى قعور البحار , ورؤوس

1. ابن القيم : الصواعق المرسلة , (833/3)
2. ابن القيم : الصواعق المرسلة , (1284/4)
3. ابن القيم : مدارج السالكين , (53/1) مصدر سابق
4. أحمد بن عبد الله بن إسحاق أبو نعيم الأصبهانى : ولد سنة 336 هـ , حافظ مؤرخ سمع الكثير وصنف , توفى بأصبهان سنة 430 هـ, انظر: سير أعلام النبلاء , (453/17), والبداية والنهاية لابن كثير: (48/12)
5. ابن القيم : حاشية ابن القيم " مطبوع على هامش عون المعبود " دار الكتب العلمية , بيروت , الطبعة: الأولى 1410 هـ-1990م , (369/13) , وانظر الصواعق المرسلة , (1286/4)
6. سورة طه : آية 5

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الجبال , وبطون الأودية , وفى كل موضع كما يعلم ما فى السماوات السبع ومادون العرش , أحاط بكل شئ علما " [1]

ونقل عن سعيد بن عامر الضبعى (ت 290 هـ) [2] قوله : " قد اجمع اليهود والنصارى مع المسلمين أن الله على العرش , وقالوا هم : ليس على العرش شئ – يقصد الجهمية " [3]

واستدل أيضا بالإجماع الذى نقله أبو عمرو الطلمنكى[4](ت 429 هـ) فقال" قال فى كتابة الأصول : أجمع المسلمون من أهل السنة استوى على عرشه بذاته وقال فى هذا الكتاب أيضا: أجمع أهل السنة على أن الله على العرش على حقيقته لا على المجاز " [5]

وذكر أيضا عن حرب الكرمانى (ت 280 هـ) [6] قوله :" والماء فوق السماء السابعة , والعرش على الماء , والله على العرش . قال ابن القيم " قلت هذا لفظه فى مسائله وحكاه إجماعاً لأهل السنة من سائر الأمصار " [7]

وقال فى النونية

وحكى ابن عبد البر فى تمهيده وكتاب الاستذكار غير جبان
إجماع أهل العلم أن الله فو ق العرش لم ينكره ذو إيمان

1. ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية , ص 226
2. سعيد بن عامر الضبعى أبو محمد المصرى : مولى بنى عجيف , حدث عن ابن المبارك ومحمد بن يحيى بن المنذر , وقال يحيى القطان : سعيد بن عامر شيخ مصر منذ أربعين سنة , توفى سنة 290 هـ , انظر: سير أعلام النبلاء , (385/9)
3. حاشية ابن القيم:(37/13), واجتماع الجيوش الإسلامية ص215, والصواعق المرسلة, (4/ 1295)
4. أحمد بن محمد بن عبد الله المعافرى الأندلسى : عالم أهل قرطبة ولد سنة 340 هـ رحل وسمع وكان رأساً فى القرآن وعلومه حافظاً للسنن إماماً عارفاً بأصول الديانة توفى سنة 429 هـ , انظر: سير أعلام النبلاء (567/17) مصدر سابق
5. اجتماع الجيوش الإسلامية : ص 142
6. حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلى الكرمانى أبو محمد صاحب الإمام أحمد : كان فقيهاً مجتهداً ومسائلة من أنفس كتاب الحنابلة توفى سنة 280 هـ , انظر: طبقات الحفاظ , للسيوطى : (274/1) , سير أعلام النبلاء (244/13) مصدر سابق .
7 . ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية , ص 234 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وأتى هناك بما شفى أهل الهدى لكنه مرض على العميان[1]

وبين الإمام ابن القيم أن مسألة الاستواء والأدلة عليها , وإجماع العلماء على القول باستواء الله على العرش مشهور معروف .

فقال ":الأخبار الدالة على علو الرب تعالى على خلقه وفوقيته واستوائه على عرشه قيل إنها تقارب الألف , وقد أجمعت عليه الرسل من أولهم إلى أخرهم " [2]

ويلاحظ من استدلال ابن القيم بالإجماع هنا على مسألة الاستواء أنه ذكر إجماع العلماء على أن الاستواء المجمع عليه بمعنى العلو والاستواء على العرش , وليس كما يدعيه بعض المتكلمين من أنه الاستيلاء وهذا ظاهر فى العبارات التى نقلها عنهم .

وقد سبق لنا ذكر إثبات صفة العلو للإمام ابن القيم , وهنا نتحدث عن صفة المعية وإمكان رؤية الله عز وجل يوم القيامة كأمثلة على إثبات الصفات الخبرية الواردة فى القرآن الكريم .

يقول ابن القيم : إنه إذا ثبت علو الله سبحانه وفوقيته واستواؤه على العرش فهو سبحانه وتعالى مع خلقه معية تليق بجلاله , خلافاً لمن توهم أنه لا يمكن أن يكون الله فى جهة العلو [3] وأن يكون مع خلقه , وقد بين الإمام ابن القيم إجماع العلماء على معية الله لخلقه , فنقل عن أبى عمر الطلمنكى قوله :" وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى [❐◆♎➔❑◆ ✍◆➔⍓↗▤⍓ ⇔ 🕮❐⇦⍂✖◆ ✍◆⌒ 🖝↗✡☝➔☠⬀ 🗐] [4] ونحو ذلك من القرآن , أن ذلك علمه , وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء " [5]

1 . ابن القيم : النونية مع الشرح , (452/1)

2. ابن القيم : الصواعق المرسلة , (1 / 368)

3. قال بذلك الإمام الجوينى : كما وضحنا ذلك من قبل فى صفة الاستواء , أنظر أبو بكر بن ميمون , شرح الإرشاد , ص 354 – 355

4 . سورة الحديد : آية 4

5 . ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية , ص 142 , والصواعق المرسلة, (1284/4)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقوله تعالى [﴿] قال هو على عرشه وعلمه معهم, ثم قال "ونقل ابن عبد البر إجماع الصحابة والتابعين على ذلك" [2]

والمعية التى استدل الإمام ابن القيم عليها هى معية العلم والمصاحبة وليس كما يتوهمه بعض أهل التأويل بأن المعية تعنى المخالطة والممازجة , فإن هذا معروف فى لغة العرب أنهم يقولون: أنا مع فلان, والقمر معنا, ولا يلزم من ذلك المخالطة أو الممازجة .

أما مسألة الرؤية والقول بها , فهو من أبرز ما تميز به مذهب أهل السنة عن غيرهم , وقد أسهب الإمام ابن القيم فى شرح مباحث الرؤية فى كتبه وخصوصاً كتاب حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح واستدل بشتى صفوف الأدلة على ذلك فقال " وقد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة , وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام , واخبر بذلك رسول الله ρ ,على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا , وكما ترى الشمس فى الظهيرة " [3]

وقال فى رده على من أنكر الرؤية ويزعم أن الله لا يرى فى الآخرة البتة :" إن ما أخبر الله به ورسوله , وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب ذلك " [4]

وأما لفظ " اللقاء" كما فى قوله [﴿] وقوله تعالى [﴿] فقد بين ابن القيم أن اللقاء المعروف السالم من الموانع يقتضى الرؤية, واستدل

1 . سورة المجادلة : آية 7

2 . ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية , ص 257 , والصواعق المرسلة , (1289/4)

3 . ابن القيم : حادى الأرواح , ص 245 مصدر سابق .

4 . ابن القيم : حادى الأرواح , ص 246 .

5 . سورة البقرة : آية 249

6 . سورة الأحزاب : آية 44

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

على ذلك بأهل اللغة العربية فقال:" وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية"[1]

وذكر أن اللقاء يقتضى المعاينة والرؤية ليس إجماع أهل اللغة فحسب , بل وإجماع أهل الحديث , والعرف يقتضى ذلك أيضا , فقال فى النونية :

" ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا الر حمن فى سور من الفرقان
ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى الإ جماع من جماعة ببيان
وعليه أصحاب الحديث جميعهم لغة وعرفاً ليس يختلفان [2]

وهذا كله يوم القيامة سواء فى الجنة أو فى عرصاتها يوم القيامة , ولكن هل الله سبحانه وتعالى يرى فى الدنيا , وهل تجلى للنبى ρ فى ليلة المعراج ؟ وقد توهم بعض الناس ذلك , وهذا لم يقع لبشر فى الدنيا قط , وقد منع منه كليم الرحمن صلى الله عليه وسلم , وقد استدل ابن القيم بالإجماع الذى حكاه الدارمى على ذلك فقال :" وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى [3] (ت 280 هـ) فى كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على أنه لم يرى ربه ليلة المعراج , وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك , وشيخنا (يقصد ابن تيمية) , يقول : ليس ذك بخلاف فى الحقيقة , فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه وعليه اعتمد أحمد فى إحدى الروايتين حيث قال : إنه ρ رآه عز وجل ولم يقل بعيني رأسه , ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس رضى الله عنهما " [4]

واستدلال ابن القيم على مسألة الرؤية ذو شقين :

الأول : أنه سبحانه لا يرى فى الدنيا ولم يقع لأحد ذلك حتى النبى ρ

---

1 . ابن القيم : حادى الأرواح , 206 – 245

2 . ابن القيم : النونية مع الشرح , (2 / 569)

3 . عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمى : العلامة الحافظ الناقد , رحل فى طلب الحديث وصنف وكان إماماً يقتدي به فى حياته وبعد مماته , أطبق أهل الحديث على جلالة قدرة توفى سنة 280 هـ , انظر: سير أعلام النبلاء :(319/13) مصدر سابق

4. ابن القيم : اجتماع الجيوش الإسلامية, ص 48 , وانظر: مدارج السالكين , (216/3) , وانظر: لابن القيم : التبيان فى أقسام القرآن , عالم الكتب , بيروت , الطبعة: الأولى 1403 هـ – 1983م , ص171 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والثانى : أنه سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار رؤية النعيم لأهل الجنة ومن خلال ما سبق عرضه لآراء الأشاعرة والسلف فى الصفات الخبرية يتضح لنا عمق الخلاف بينهما فى الآتى .

١. أستطيع أن أقول : إن الذى حمل الأشاعرة على تأويل الصفات الخبرية هى شبه عقلية فلسفية وليست شرعية , وأشهر شبهتين عندهم هما

الشبهة الأولى :

أن الأشاعرة قالوا: إن هناك من الصفات الخبرية ما هو حادث كان بعد أن لم يكن, كصفة النزول والمجيء والإتيان والاستواء على العرش والرضى والغضب وغيرها وكل هذه الصفات حادثة والله منزه عن الحوادث , لأنه مالا يخلو من الحوادث فهو حادث وهذه الشبهة مردود عليها فما يعبرون عنه بنفى قيام الحوادث , لأن ذلك يؤدى إلى الحدوث فى ذات الله تعالى – هو فى الحقيقة أفعال الله تعالى الاختيارية التى يفعلها متى شاء وفى أى وقت فهى راجعة إلى المشيئة والإرادة , وهذا ما أكد عليه وأثبته الإمام ابن القيم فى إثباته للصفات الفعلية كالرضى والغضب والمجيء والنزول وغيرها وفى إثباته للصفات الخبرية كالاستواء والفوقية والمعية والرؤية وغيرها .

الشبهة الثانية :

أما الشبهة الثانية والتى حملت الأشاعرة على تأويل الصفات الخبرية هو أن الأخذ بظواهر نصوص الصفات يؤدى إلى التشبيه والتجسيم , ومشابهة الخالق بالمخلوق , وذلك على حد زعمهم .

فهم لم يفهموا من ظواهر صفات البارى جل وعز إلا ما يكون من جنس صفات المخلوقين يقول الإمام الجوينى فى هذه الشبهة : وإنها من أسباب التأويل :" إن رام السائل إجراء الاستواء على ما ينبئ عنه فى ظاهر اللسان , وهو الاستقرار, فهو التزام للتجسيم , وإن تشكك فى ذلك كان فى حكم المصمم على اعتقاد التجسيم " [1] فالجوينى يرى أن إثبات صفة الاستواء على ظاهرها يوقع فى التجسيم وهو أن الذات العلية جسم, وذلك لأن العلو والارتفاع والاستقرار على حد قوله من صفات الأجسام فقط .

1. الإمام الجوينى : الإرشاد , ص 60 مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ولاشك أن الإمام الجوينى قبل أن يعطل الصفة شبه , فوقع أولاً فى التشبيه من حيث أنه ظن أن استواء الله تعالى على العرش كاستواء المخلوق وأداه هذا الظن إلى التعطيل وصرف الصفة إلى ظاهرها .

وكذا فعل الجوينى فى بقية الصفات الخبرية كالنزول والإتيان والمجيء وغيرها يقول عن صفة النزول :" ولا وجه لحمل النزول على التحول والانتقال وتفريغ مكان وشغل غيره , فإن ذلك من صفات الأجسام وتفوت الأجرام " [1]

ويقول الآمدى فى رده للأخذ بظاهر النصوص الشرعية فى الصفات :" وأعلم أن هذه الظواهر – وإن وقع الاغترار بها , بحيث يقال بمدلولاتها ظاهرا , من جهة الوضع اللغوى والعرف الاصطلاحي – فذلك لا محالة انخراط فى سلك نظام التجسيم ودخول فى طرف دائرة التشبيه " [2]

وأما ابن فورك فإنه يقول عند الصفة التى يؤولها :" ذكر خبر مما يقتضى التأويل ويوهم ظاهرة التشبيه " [3] فهو يرى أن ظاهر آيات الصفات إن لم يؤول يفيد التشبيه.

ويقول الرازى عن ظاهر نصوص آيات الصفات :" وأما الظواهر النقلية المشعرة بالجسمية والجهة فالجواب الكلى عنها : أن القواطع العقلية دلت على امتناع الجسمية والجهة والظواهر النقلية مشعرة بحصول هذا المعنى , والجمع بين تصديقهما محال , وإلا لزم اجتماع النقيضين , والجمع بين تكذبيها محال , وإلا لزم الخلو عن النقيضين والقول بترجيح الظواهر النقلية على القواطع العقلية محال , لأن النقل فرع على العقل, فالقدح فى الأصل لتصحيح الفرع يوجب القدح فى الأصل والفرع معاً وهو باطل , فلم يبق إلا الإقرار بمقتضى الدلائل العقلية القطعية , وحمل الظواهر النقلية إما على التأويل , وإما على تفويض علمها إلى الله سبحانه وتعالى وهو الحق " [4]

---

1. الإمام الجوينى : الإرشاد , ص 150 – 151
2. سيف الدين الآمدى : غاية المرام فى علم الكلام , تحقيق : حسن عبد اللطيف : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية , القاهرة , الطبعة: الأولى 1971م , ص 138
3. ابن فورك : مشكل الحديث , ص 42 – 52 وغيرها مصدر سابق
4. الرازى : أصول الدين , ص 43 مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ومن ثم يمكن القول أن الأشاعرة ذهبوا إلى القول بأن الأخذ بظواهر النصوص يوحى بالتشبيه , ووصفوا المولى عز وجل بما لا يليق ووقعوا فى المقارنة بين صفات الخالق بالمخلوقين وهذا محال . ولذلك وقعوا فى التشبيه والتعطيل وهذا الفهم رفضه السلف وانتقده الإمام ابن القيم انتقاداً لاذعاً فقال , ولكن المتكلمين فهموا من النصوص معنى لا يليق بالله ثم هرعوا إلى التأويل , فهذا الرازى يقول : ورد فى القرآن ذكر الوجه , وذكر العين , وذكر الجنب الواحد , وذكر الأيدى , وذكر الساق الواحدة , فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد , وعلى ذلك الوجه أعين كثيرة , وله جنب واحد , وعليه أيد كثيرة وله ساق واحدة , ولا نرى فى الدنيا شخصاً أقبح صورة من هذه المتخيلة , ولا أعتقد أن عاقلاً يرضى بأن يصف ربه هذه الصفة " [1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : كثير من الناس يتوهم فى بعض الصفات أو فى كثير منها أو أكثرها , أو كلها , أنها تماثل صفات المخلوقين , ثم يريد ان ينفى ذلك الذى فهمه فيقع فى أربعة أنواع من المحاذير .

أحدهما : كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين , وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

الثانى : أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله , بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله , فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذى ظنه بالله ورسوله – حيث ظن أن الذى من كلامهما هو التمثيل الباطل – قد عطل ما أودع الله ورسوله فى كلامهما من إثبات الصفات لله , والمعانى الإلهية اللائقة بجلال الله سبحانه .

الثالث: أنه ينفى تلك الصفات عن الله بغير علم, فيكون معطلاً لما يستحقه الرب تعالى

الرابع : أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الموات والجمادات , أو صفات المعدومات .

فيكون عطل صفات الكمال التى يستحقها الرب تعالى , ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات , وجعل مدلولها هو التمثيل

1. الرازى : أساس التقديس , ص 67

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

بالمخلوقات فيجمع فى الله وفى كلام الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا فى أسماء الله وآياته. [1]

والمتكلمون هنا إنما آتو من قبيل فهومهم وأذهانهم , وإلا فإن الفهم الصحيح الذى كان يفهمه سلف الأمة لم يكن يوجب تشبيه الخالق بالمخلوق , وإنما للخالق صفة تخصه , وللمخلوق صفة تخصه , ويصدق على المتكلمين قول القائل :

وكم من عائب قولاً سليما وآمنة من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم [2]

خامسا: تأويل الصفات بين الأشاعرة والسلف

انه مما يعين على فهم هذه المسألة والخلاف الذى وقع فيها , معرفة معنى التأويل وأنواعه فنقول وبالله التوفيق .

1. التأويل فى اللغة :

التأويل مصدر من باب التفعيل , وله فى اللغة معنيان .

الأول : يأتى بمعنى العاقبة , والمرجع , والمآل , والمصير , وهو الغالب فى القرآن الكريم .

والثانى : ويأتى بمعنى التفسير , والبيان , والتدبر , وهو الغالب فى اقوال السلف **ومما يدل على المعنى الأول :**

١. قال ابن منظور فى لسان العرب : الأول : الرجوع , آل الشئ يؤول أولاً ومآلاً : رجع , وأول إليه الشئ : رجَعَه , وأولت عن الشئ : ارتددت وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره , وأوله وتأوله : فسره [3]

---

1. شيخ الإسلام ابن تيمية : الرسالة التدمرية , تحقيق : محمد بن عودة السعودى : مكتبة العبيكان , الرياض , الطبعة: الثانية , 1414 هـ - 1994 م , ص 79 - 80 - 81
2. أبو الطيب المتنبى : ديوان المتنبى , (274/1)
3. ابن منظور : لسان العرب ,(مادة " أَوَلَ" 11 / 32 - 33) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢. وورد فى تهذيب اللغة , للأزهرى عن ثعلب وابن الأعرابى : أن " الأول" هو الرجوع وقد آل يؤول أولا " [1]

٣. وفى مقاييس اللغة لابن فارس يقول فى ذلك : قال يعقوب " أول الحكم إلى أهله أى أرجعه ورده إليه .

ويقول أيضا : ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه " وأل يؤول أى رجع. [2]

٤. وفى القاموس المحيط للفيروز أبادى , وأوله إليه : رجعه [3]

٥. وقال الراغب الأصفهانى : التأويل من الأول , أى : الرجوع إلى الأصل , ومنه الموئل للموضع الذى يرجع إليه , وذلك رد الشئ إلى الغاية المرادة منه علماً مكان أو فعلاً .[4]

ومما يدل على المعنى من القرآن الكريم :

قوله تعالى [📖↗⇔🏵☒★ ❼🏵× ⇙☹↗🡻⇳↖♦❽🕓◆☪⬧✍ 🏵✉⬧▫ 🏵✌❑←☋▪❷๑✍✂◆❒ ★✍✍✂ ❼■🖫🏵☽ ←■❒☋⑩↖❷⬧▫ ★✍✍✍🏵✍ ♦🏵❑↖☪🏵✌⇙⬧➔✍ ⇙☹↗🡻✡↗🖃 🏵☽ ⛶🖃🏵๑🕓⬧❶ 🗐 ❷⌘☞⛶✍✂ 🏵✈⬀❑◆⓿๑✍✂◆❒ ⌘⛶❷🡼↗❸ ⬅Ⅱ✿○⇳○❒📖◆❒ ⊀❸⬀❷⛶⌘ ⊠③🏵❒▫🕯⬧✍ 🕑] [5]

فسره مجاهد وقتادة بالثواب والجزاء , وفسره السُدّى وابن قتيبة والزجّاج بالعاقبة ومعناهما متقارب وهما يرجعان إلى معنى المآل والمصير [6]

وقوله تعالى [⬀✍⛶≏ ♦🏵❒↖❷❶→☪♦③ ⬧•🏵☽ ①↖📖⬧✂③🏵❒▫🕯⬧✍ 🗐 ♦☜⬀❑♦③ ❼🏵✌▫🕯♦③

1. الأزهرى : تهذيب اللغة , دار القومية العربية , القاهرة 1964 م , (437/15) , مادة اول
2. أبى الحسين أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة , تحقيق: عبد السلام هارون : مكتبة مصطفى البابى الحلبى , 1389 هـ , 1969م , (159/1) , مادة اول
3. الفيروز أبادى : القاموس المحيط , مادة أَوَلَ , ص 1244 مصدر سابق
4. أبو القاسم الحسينى بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن , تحقيق : محمد سيد كيلانى , دار المعرفة , بيروت , بدون رقم وتاريخ , ص 31
5. سورة النساء : آية 59
6. ابن كثير : تفسير ابن كثير , (372/2) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST

[(1)

فالمراد بالتاويل فى هذه الآية , ما يؤول إليه أمر الكفار وعاقبتهم من ورودهم على العذاب ودخولهم جهنم , هذا ما فسره به ابن عباس , ومجاهد , وقتادة , والسُدّى وغيرهم. (2)

٦. وقوله تعالى حكاية عن الخضر [❶♦🕓🙾🖂📻🙾 ✍♦✌ ↖✍③🗭❐▫🕯♦✍ ✂☪❸⇗🙾❁🕑 🙾❍⇘⑩■🖬□↘ ⇗🙾➲⇔○■✍ ⇔⚐♦🙾] (3) قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" فالتأويل هنها تأويل الأفعال التى فعلها العالم من خرق السفينة بغير إذن صاحبها , ومن قتل الغلام , ومن إقامة الجدار , فهو تأويل عمل , لا تأويل قول " (4)

٧. حديث عائشة رضى الله عنها : كان النبى ρ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك , اللهم اغفر لى , يتأول القرآن " (5)

ومما يدل على المعنى الثانى للتأويل فى اللغة الذى هو التفسير ما يلى :

١. قول أبو عبيدة :" التأويل فى كلام العرب التفسير " (6)

٢. ابن جرير فى تفسيره عن كل آية :" القول فى تأويله قوله – ثم يذكر الآية وقال أيضاً :" وأما معنى التأويل فى كلام العرب , فإنه التفسير , والمرجع , والمصير (7).

---

1. سورة الأعراف : آية 53
2. محمد بن جرير الطبرى : تفسير الطبرى , تحقيق : احمد ومحمود شاكر , دار المعارف القاهرة , الطبعة: الأولى , 1368 هـ – 1948 م , (8 / 203)
3. سورة الكهف : آية 82
4. ابن تيمية : مجموع الفتاوى , (291/3) مرجع سابق
5. الإمام البخارى : صحيح البخارى , كتاب الأذان , (199/1) , صحيح مسلم فى كتاب الصلاة , (350/1) حديث رقم (217)
6. أبو عبيدة معمر بن المثنى : مجاز القرآن , علق عليه : محمد فؤاد سركين , مكتبة الخانجى , مصر , بدون رقم الطبعة وتاريخها , (86/1)
7. الطبرى : تفسير الطبرى , (83/3) , (323/6) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

٣. قوله تعالى [☎] [1] أى تفسيره [2]

وقول النبى ρ لابن عباس ودعائه له :" اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " أى التفسير .

وقول جابر بن عبد الله فى حجة الوداع : ورسول الله ρ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن , وهو يعرف تأويله وما عمل به من شئ عملنا به " [3]

2. التأويل فى الإصطلاح :

من خلال ما سبق عرضه فى معنى التأويل فى اللغة اتضح معنى التاويل فى الإصطلاح فمعناه فى الإصطلاح موافق لمعناه فى اللغة والقرآن الكريم كما يلى :

أولاً : المرجع , والمصير , والمآل , والحقيقة التى يؤول إليها الكلام .

فتأويل ما أخبر الله به فى الآخرة هو وقوع نفس المخبر به يوم القيامة , وتأويل ما أمر الله به هو فعل المأمور , وتأويل ما نهى الله عنه هو ترك المنهى عنه , وقد أوردنا فيما مضى شواهد على ذلك من أقوال أهل اللغة وكذا من القرآن الكريم وهو الغالب فيه .

3. التفسير والبيان

وهو تفسير اللفظ وبيان معناه , وشرحه , وإيضاحه , وترجمته وهذا هو الغالب فى اصطلاح مفسرى القرآن من السلف ومن تبعهم . هذا هو معنى التأويل فى الإصطلاح عند السلف وهو موافق لمعناه فى اللغة والقرآن وكلام السلف رحمهم الله جميعاً .

والآن نتساءل ؟

هل التأويل الذى ذهب إليه الأشاعرة يوافق معناه فى اللغة ومعناه عند السلف ؟ هذا ما سنوضحه فى السطور القادمة .

---

1. سورة يوسف : آية 36
2. ابن كثير : تفسير ابن كثير, (9/2) مصدر سابق
3. الإمام مسلم : صحيح مسلم , كتاب الحج , (887/2) حديث رقم : (147) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فى الحقيقة إن التأويل عند الأشاعرة يعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به .[1]

وفى ذلك يقول الجوينى عن معنى التأويل :" رد الظاهر إلى ما إليه مآله فى دعوى المؤول " [2] وهذا هو تعريف المتأخرين من الأشاعرة .

ولكن إذا نظرنا إلى هذا الدليل الذى يقترن بالتأويل لديهم وجدنا أنه مجرد دليل عقلى وليس دليلاً شرعياً .

ولا شك أن الأشاعرة لم يفهموا من نصوص الصفات معانى تليق بجلال الله عز وجل وعظمته , بل فهموا معانى تشبه ما عليه المخلوقين , فوقعوا فى تشبيه الخالق بالمخلوق وأداهم ذلك إلى التعطيل .

أما السلف فيقولون أن التأويل ليس مذموماً بإطلاق , فليس كل ما سمى تأويلاً يكون فاسداً ومردوداً , بل التأويل منه الصحيح والفاسد , ومنه المقبول والمردود .

يقول الإمام ابن القيم فى ضابط ذلك " التأويل الذى يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح , والتأويل الذى يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد , فكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود [3] وإن كان التأويل عند الإطلاق – فى كتب العقائد – غالباً ما ينصرف إلى تأويلات المتكلمين الباطلة الذى هو بمثابة التحريف الذى نهى الله عنه, ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " إنا لا نذم كل ما يسمى تأويلاً مما فيه كفاية , وإنما نذم تحريف الكلم عن مواضعه , ومخالفة الكتاب والسنة , والقول فى القرآن بالرأى " [4] ويتضح مما سبق أن علماء السلف لا يرفضون التأويل رفضاً مطلقاً , بل كانوا يفسرون بعض الآيات بتخصيص عمومها , وبتقييد مطلقها , وبتقدير مضاف محذوف

1. ابن تيمية : الرسالة التدمرية , ص 33 مصدر سابق
2. الإمام الجوينى: البرهان فى أصول الفقه , تحقيق :عبد العظيم الديب : دار الأنصار , القاهرة, الطبعة: الثانية , 1400 هـ -1980م , (511/1)
3. ابن القيم : الصواعق المرسلة , (187/1) مصدر سابق
4. ابن تيمية : مجموع الفتاوى , (6/ 20 – 21) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

منها , ولم يكونوا يلجأون إلى هذا التأويل إلا لوجود دليل عقلى ظاهر , أو سمعى ظاهر يقتضى ذلك .

والإمام ابن القيم من أدق الناس فى تحديد الضوابط التى يجب التزامها ليكون التأويل صحيحاً – وبدونها لا يعتبر التأويل صحيحاً – وهى باختصار .

١. أن يكون اللفظ المراد تأويله قابلاً للتأويل ومحتملاً للمعنى الذى صرف إليه فى ذلك التركيب الذى وقع فيه .

يقول الإمام ابن القيم فى ذلك :" فالمتأول عليه أن يبين صلاحية اللفظ للمعنى الذى ذكره أولا , واستعمال المتكلم له فى المعنى فى أكثر المواضع , حتى إذا استعمله فيما يحتمل غيره حمل على ما عهد فيه فى استعماله فيه " [1]

وعلى هذا لابد أن يكون اللفظ محتملاً وإلا كان كذاباً على اللغة منشئاً وضعاً من عنده , فإن اللفظ قد لا يحتمل المعنى لغة .

ومن الألفاظ التى لا تحتمل التأويل لفظ الاستواء وتأويلهم لهذا اللفظ بالاستيلاء[2] , أمر لا يعرف فى اللغة , بل هو كذب على اللغة , يقول الإمام ابن القيم : " وكذلك تأويلهم الاستواء بالاستيلاء فإن هذا لا تعرفه العرب من لغتها , ولم يقله أحد من أئمة اللغة , وقد صرح أئمة اللغة كابن الأعرابى وغيره بأنه لا يعرف فى اللغة " [3]

٢. دلالة تركيب الكلام والسياق على ذلك التأويل واحتماله له , فكون اللفظ يقبل التأويل فى سياق ما , لا يلزم أن يقبل التأويل فى كل سياق , بل لابد فى دلالة تركيب الكلام والسياق عليه , لأن اللفظ الواحد قد يختلف معناه باختلاف سياق الكلام .

---

1. ابن القيم : شفاء العليل , (218/1) مصدر سابق .
2. محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة : إيضاح الدليل فى قطع حجج أهل التعطيل , تحقيق : وهبى سليمان الألبانى : دار السلام , الطبعة: الأولى , 1410هـ – 1990 م , ص 103 , وانظر: لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة , للجوينى : ص 108 مصدر سابق .
3 . ابن القيم : الصواعق المرسلة ,(292/1) مصدر سابق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويوضح الإمام ابن القيم هذا الشرط وهو ضرورة احتمال اللفظ للمعنى الذى تأوله فى ذلك التركيب خاصة فقال :" وإن احتماله – أى احتمال المعنى فى تركيب ما – فقد لا يحتمله فى ذلك التركيب الخاص , وكثير من المتأولين لا يبالى إذا تهيأ له حمل اللفظ على ذلك المعنى بأى طريق أمكنه أن يدعى حمله عليه إذ مقصودة دفع الصائل , فبأى طريق اندفع عنه دفعه , والنصوص قد صالت على قواعده الباطلة فبأى طريق تهيأ له دفعها , ليس مقصودة أخذ الهدى والعلم والإرشاد منها " [1]

ومثال ذلك تأويل اليد فى قوله تعالى [﴿ ﴾] [2] بالنعمة [3] , فهذا لا يستقيم , وإن كانت العرب تطلق لفظ اليد على النعمة , لكن ورود اليد هنا بصيغة التثنية يأبى هذا التأويل فهل يقال إن لله نعمتان ؟ والله سبحانه وتعالى [﴿ ﴾] [4]

٣. أن يقوم دليل صارف للفظ عن ظاهرة , ويبين أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذى حمل عليه , وأن يكون هذا الدليل سالماً من المعارض .

يقول الإمام ابن القيم مشدداً على هذا الشرط :" وعليه أن يقيم دليلاً سالماً عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهرة وحقيقته إلى مجازة واستعارته , وإلا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تقبل " [5]

وذلك لأن الأصل فى اللفظ أن يكون على ظاهرة ولا يجوز أن يحمل ويؤول على غير ظاهرة إلا بدليل , ولو جاز صرف اللفظ وحمله على غير ظاهرة بدون دليل لأوجب التلاعب بالنصوص الشرعية , ولصار ذلك مطية سهلة لكل معارض للنص الشرعى , ولذلك يوجب ابن القيم أن يكون الدليل الصارف قوياً وسالماً من المعارضة فيقول :" فإن

---

1 . المصدر السابق : (289/1)

2 . سورة ص : آية 75

3 . ابن جماعة : إيضاح الدليل , ص 125 مصدر سابق

4 . سورة إبراهيم : آية 34

5. ابن القيم : شفاء العليل , (218/1) مصدر سابق , وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم : (383/4)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

دليل المدعى للحقيقة والظاهر قائم , فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل صارف يكون أقوى منه " [1]

ومن خلال ما سبق عرضه يتضح لنا الآتي :

١. أن الأشاعرة ركنوا إلى العقل , وجعلوه حكماً فى النصوص المنزلة , واعتمدوا التأويل منهجاً , واعتمدوا على العقل مع أن العقول متفاوتة فى الإفهام , فكان لزاماً أن يقعوا فى التناقض .

وقد كان للإمام ابن القيم إسهاماً فى إبطال التأويل الذى جعله المتكلمون مطية يتخطون بها معانى أدلة الكتاب والسنة إلى معانى لم يقصدها الشارع الحكيم المبين فى كلامه .

٢. حينما أبطل الإمام ابن القيم التأويل , لم يبطله هكذا جزافاً إنما أبطله بأدلة وقرائن فدلالة النصوص على أن لله أسماء كدلالتها على أن له صفات , وأيضا دلالتها على أن الله خالق لأفعال العباد كدالاتها على أن العباد هم الفاعلون حقيقة , ولا فرق فى ذلك فمن أول بعض النصوص دون بعض فقد تناقض , فلا بد من تأويل الجميع أو إثبات الجميع .

يقول الإمام ابن القيم : النصوص تدل على أن لله سمعاً وبصراً وعلما وقدرة, ومحبة ورضا وغضب, فلما نفيتم حقيقة محبته ورضاه وغضبه وأولتموها بنفس الإرادة, فإن قلتم إثبات الإرادة والمشيئة لا يستلزم تجسيماً بخلاف الرضا والغضب والرحمة فإنها لا تعقل إلا فى الأجسام , لأن الرحمة رقه تعترى الحيوان , والمحبة ميل النفس لجلب ما ينفعها , والغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام , قيل وكذلك الإرادة هى ميل النفس إلى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها , فلا فرق بين ذلك . فليس هناك فرق بين ما يسوغ تأويله ومالا يسوغ .

ويقول أيضا : إن كان ظاهر النصوص يقتضى تشبيهاً أو تجسيماً فهو يقتضيه فى الجميع , فيأول الجميع , وإن كان لا يقتضى ذلك لم يجز تأويل شئ منه , وإن زعمتم أن بعضها يقتضيه وبعضها لا يقتضيه طولبتم بالفرق بين الأمرين [1]

---

1. ابن القيم :الصواعق المرسلة , (193/1)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ونقول فى ختام الحديث عن الصفات الإلهية , أن الله تبارك وتعالى وصف نفسه فى كتابه , وعلى لسان رسوله ρ بصفات عليا , وتعبد المؤمنين بها , وبوصفه بها , توسلاً إليه وتقربّا , وسمى نفسه تعالى بأسماء حسنى فوجب الإيمان بذلك وقبوله , وإطلاقه عليه تعالى ما هو مراده منه , فمن نفى عنه ما وصف به نفسه , وسماها به من أسماء فقد وقع فى إثم عظيم , وكذلك من شبه تلك الأسماء والصفات بأسماء وصفات المحدثين فقد أشرك, إذ هو يتردد فى ذلك بين تكذيب الله تعالى والكذب عليه , وكليهما فعل شنيع وظلم عظيم .

ومن أوَّلَ تلك الصفات الإلهية العليا طالباً بذلك تنزيه الله عز وجل , فقد أخطأ وجهل وتكلف ما لم يكلف به , وفعل ما لم يؤمر به , ذلك كتأويل يد الله بقدرته فراراً من وصف الله تعالى بلفظ اليد , وكتأويل مجيئه تعالى لفصل القضاء بمجئ أمره , أو ملك من ملائكته فراراً من وصف الله تعالى بالتحول والانتقال الذى تبادر إلى أذهان المؤولين كتأويل استوائه تعالى على العرش بالاستيلاء فرارًّاً من وصف الله تعالى بالاستواء على عرشه , وكتأويل صفة العلو بالقهر فرارًّاً من وصف الجهة والتحيز , إلى غير ذلك من التأويل الذى عُرف به أكثر علماء الخلف , ولم يعرف به أحد من علماء السلف .

1 . ابن القيم : الصواعق المرسلة , (222/1) وما بعدها بتصرف وتلخيص

This file was downloaded from QuranicThought.com